قراءة نقدية

الاستخبارات الإيرانية في تركيا؟

شبهات عملاء التشيع



www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

الراصد العدد ١٢٣ رمضان ١٤٣٤هـ

الإنقلاب في مصر.. دروس وعبر

المحتويات

فاتحة القول

فرق ومذاهب

سطور من الذاكرة

دراســــات

كتاب الشهر

قالوا

جولة الصحافة





رسالة دورية تصدر بداية كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد (١٢٣)

رمضان - ١٤٣٤ هـ

www.alrased.net
info@arased.net





الانقلاب في مصر.. دروس وعبر

أدخل الانقلابُ على الرئيس المنتخب محمد مرسي مصرَ وكثيرا من الدول في مخاض كبير لا يعرف أحدٌ أبعاده أو إلى أين ستصل آثاره، وهل يمكن احتواء الأخطار بتنازل الجميع والوصول لاتفاق أو ستتفاقم الأزمة حتى تتفجر وتخرج عن السيطرة لا قدر الله، أوليس عجيباً أن بشار يبقى بإجرامه ومرسي يرحل بطيبته وشرعية انتخابه!

ومما يزيد المخاوف من تفجر الأوضاع: الممارسات التي تمت بعد الانقلاب من مصادرة الحريات الإعلامية الإسلامية، واعتقال بعض القيادات الإسلامية، والاعتداء على المحتجين المؤيدين للرئيس مرسي كما تجلى في مجزرة فجر الاثنين أمام الحرس الجمهوري، ومحاولة فرض البرادعي كرئيس للحكومة، وحل مجلس الشوري، والإعلان الدستوري المخالف لاتفاق حزب النور مع الجيش حول خارطة الطريق.

هذه الأحداث السيئة تتكرر – للأسف – كل مدة مع التيار الإسلامي بصورة أو أخرى، ولذلك نحتاج إلى أن نحرص على رفع سقف الوعي حتى نتجنب الوقوع في نفس الأخطاء والمطبات، والذكاء في التعامل مع المستجدات والمؤامرات، وهذا كله حتى يتمكن التيار الإسلامي من الحفاظ على مكتسباته والمراكمة عليها عبر مسيرته الدائمة للوصول لوعد النبي الصادق «ثم تكون خلافة على منهاج النبوة».

الدرس الأول: عدم إدارة الخلاف والانقسام في الصف الإسلامي بشكل إيجابي

الخلاف أمر واقع في العمل الإسلامي ولا يمكن تجاوزه وهذا من القدر الكوني الذي لا يمكن دفعه، إلا أن التعامل معه هو من القدر الشرعي الواجب حسن إدارته «لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك»، وقد أمر النبي ﷺ بعض أصحابه فقال: «تطاوعا ولا تختلفا»، ولذلك يجب التركيز على إدارة الخلافات والصراعات الداخلية لتصب في الصالح العام للتيار الإسلامي بدلاً من أن تعمل على هدم واستنزاف الطاقات من خلال التخوين والإقصاء وهدر جهود الآخرين.

وها نحن اليوم في سوريا وليبيا وتونس وكأننا نعيد مشهد الخلاف الدامي في أفغانستان بين فصائل المجاهدين، ولذلك نحتاج إلى جهود مركزة نظرية وعملية مكثفة في وضع قواعد وأسس للتعاون والخلاف والعتاب والمصالحة بين فصائل العمل الإسلامي، ويجب أن يكون هناك حالة من الشفافية العالية في نقد أي ممارسات تذكي الخلاف وتعمق الشقاق حتى يرتعد المعتدي ونقلص المسافة بين الفرقاء الإسلاميين.

الدرس الثاني: ضرورة تقوية الإعلام الإسلامي ورفع مستواه المهني

كانت أول خطوة قام بها الانقلابيون على مرسي مصادرة بعض الفضائيات الإسلامية وخفض السقف للبعض الآخر، ثم مهاجمة قناة الجزيرة في مصر والتي تقف في صف الرئيس مرسي، مع فتح

المجال كلياً للقنوات المؤيدة للانقلاب.

وذلك لأنهم بمكرهم يعرفون أهمية ومركزية الإعلام في إحباط الانقلاب فلجؤوا إلى هذه الخطوة برغم دعوتهم لميثاق شرف إعلامي! ولولا الخطوة الذكية بتفعيل القنوات الإخوانية في الخارج لبث فعاليات اعتصام مؤيدي مرسي لمرّ الانقلاب دون ضجيج كثير، سبق لأربكان أن اعترف بعجزه الإعلامي حين قال: لقد خضنا المعركة وليس معنا سلاح المدفعية وقصَد الإعلام.

وهذا الأمر يفتح الباب لمراجعة سياسة مرسي وحكومة قنديل وخاصة وزير الإعلام صلاح عبد المقصود مع تعديات الإعلام العلماني طيلة حكم مرسي وهل كانت ضعيفة أكثر من اللازم؟ وهل كان يمكن ردعها ومنعها من التعدى على الآخرين عبر القنوات القانونية؟

ومن جهة أخرى وجدنا أن هناك نقصا في عدد الإعلاميين والكتاب الإسلاميين القادرين على تقديم المشروع الإسلامي وإقناع الجماهير به، وأن هناك ضعفا في لغة الخطاب السياسي الإعلامي بحيث تقدم مشروعها بقوة وموضوعية وتنقد السياسات والمواقف المخالفة بذكاء ودهاء دون الوقوع في فخاخ قانونية أو شعارات يمكن تأويلها وتشويهها واعتبارها تحريضا وتكفيرا وطائفية، ولعل النموذج الذي قدمه حزب الوسط وخاصة الأستاذ عصام سلطان نموذج يجب تعميمه وتطويره في الوسط الإعلامي الإسلامي.

وللوصول لذلك نحتاج إلى التركيز الآن على دعم شركات إنتاج إعلامي أكثر من فتح قنوات جديدة، ونحتاج إلى رعاية الدراسات والندوات والدورات والكفاءات الإعلامية وتوفير الموارد المالية الكافية لتطويرها، خاصة أن برنامجا مميزا أو مذيعا ألمعيا عبر الفضائيات أو وسائط الاتصال الجديدة تفوق في تأثيرها كثيرا من الكتب أو الأشرطة أو خطب الجمعة.

الدرس الثالث: الاهتمام بتوفير الحلول للمشاكل

استغل خصوم الرئيس مرسي عجزه وعجز حكومته عن تقديم حلول لبعض المشاكل التي يعاني منها المجتمع المصري فجرى تضخيمها وجعلها رأس الحربة في تحشيد الناس ضده.

وللدكتور عبدالله النفيسي كلمة جميلة تعبر عن هذه المشكلة، فيقول: الإسلاميون يمكنهم دك حصون خصومهم وهدمها والاستيلاء على مواقعهم، لكنهم يفتقدون لسلاح الهندسة الذي يمكنه من بناء الموقع من جديد بحسب الرؤية الإسلامية.

وهذا الخلل واضح مشترك بين الإسلاميين والعلمانيين، ولكن الإسلاميين يعانون من الهجوم الإعلامي العلماني لتضخيم هذا العجز فتتضاعف المشكلة.

وقد كان تقديم الحلول للواقع البائس هو حجر الأساس في نجاح تجربتي ماليزيا وتركيا، وعلى الإسلاميين الاستفادة من هذه التجربة بالتركيز على تبني الحلول لمشاكل مجتمعهم وتحشيد الشارع مع الحلول بالتواصل الدائم معهم بوسائل ذكية، والتيقظ الدائم للقصف الإعلامي المعادي وتفنيد شبهاته مباشرة وعدم التهاون معها.

الدرس الرابع: غدر الشيعة لا يتوقف لأهل السنة

لا يعلم كثير من الناس أن مؤسس حركة تمرد محمود بدر هو أحد المتشيعين في مصر، وكانت نقطة البداية من مركز مصر الفاطمية لحقوق الإنسان، وهو إحدى مؤسسات الشيعة بمصر وقد أعلن كافة قيادات الشيعة تأييدهم للانقلاب على مرسي.

فهل يعلم الإخوان الدرس بأن إيران والشيعة لا يقبلون بالإخوان شركاء أو منافسين، بل إما أن يكونوا أتباعا لهم بالكلية أو العمل على تحطيمهم وهذا ما تقوم به إيران اليوم تجاه حركة حماس وتركيا أردغان وحكم مرسي بمصر، فإيران تريد الإخوان مطاردين يحتاجونها ولا تريدهم أقوياء ينافسونها، ولذلك لم تجد إيران غضاضة في تمرير الانقلاب على مرسي بما يخدم مصالح الخليج، طالما أنها مستفيدة من تحجيم القوة السنية.



١٥- العلامة الفقيه محمد بن صالح العثيمين (١٣٤٧/١٤٢١هـ-١٩٢٧/٢٠٠١م)

أسامة شحادة(*) - خاص بالراصد

تمهيد:

يعدّ العلامة ابن عثيمين رحمه الله من أفذاذ العلماء المعاصرين الذين شاهد الناسُ منهم الدور الحقيقي للعالم، فهو بين تدريس ومشاركة وإفتاء وإصلاح وتوجيه مع مخالطة عجيبة للناس بكافة مستوياتهم رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً.

وقد وفق الله الشيخ لأن يكون له مدرسة فكرية تحمل عنه علمه ومنهجه وطريقته في المملكة وخارجها، فرحم الله شيخنا وتغمده برحمته.

مولده:

ولد شيخنا في منطقة عنيزة بالقصيم في العشر الأواخر وبالتحديد في ٢٧ رمضان ١٣٤٧هـ، ويعود نسبه لبني تميم.

نشأته العلمية:

للأسف فإن المصادر المتوفرة عن الشيخ لا تقدم معلومات كافية عن نشأته وحياته الأولى، وإنما تركز على المرحلة الأخيرة من حياته رحمه الله بعدما برز واشتهر.

فهو تعلم القرآن الكريم على جدّه لأمه الشيخ عبد الرحمن بن سليمان الدامغ، ثمَّ التحق بمدرسة الأستاذ عبدالعزيز بن صالح الدامغ فتعلَّم الكتابة، وشيئًا من الحساب، والنصوص الأدبية، وبعد ذلك التحق بمدرسة الشيخ علي بن عبد الله الشحيتان حيث أتم حفظ القرآن الكريم عنده عن ظهر قلب ولمّا يتجاوز الرابعة عشرة من عمره.

وأخبر الشيخُ ابن عثيمين أحدَ أولاد الشيخ عبدالله القرعاوي داعية الجنوب ومصلحه أنه تعلم الوضوء من أبيه القرعاوي.

وكان لوالد الشيخ ابن عثيمين دور في توجيهه لطلب العلم الشرعي على يد شيخ عنيزة وإمامها - آنذاك- العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي – رحمه الله – والذي كان يدرِّس علوم الشريعة واللغة العربية في الجامع الكبير بعنيزة، وكان للشيخ السعدي ترتيب دقيق في التعليم فقد خصص اثنين من طلبته الكبار (الشيخ علي الصالحي والشيخ محمد بن عبد العزيز) لتدريس الطلبة المبتدئين، فانضم ابن عثيمين لحلقة الشيخ محمد بن عبد العزيز ودرس عليه التوحيد والفقه والنحو.

ثم ترقى لحضور حلقة العلامة السعدي، فدرس عليه في التفسير والحديث والسيرة النبوية والتوحيد

(*) كاتب أردني.

والفقـــه والأصـــول والفـــرائض والنحـــو، وحفـــظ مختصرات المتون في هـذه العلوم، وقـد ظهـر نبـوغ ابـن عثـيمين مبكـراً في حلقـة الـسعدي، ولـذلك حـين قـرر والـد ابـن عثـيمين الـسفر مـن عنيـزة بحثـاً عـن الـرزق طلـب منـه الـشيخ الـسعدي إبقـاء محمـد في الحلقـة بعنيزة لتميزه وذكائه.

ومـرة أخـرى نجـد الـسعدي يخـصّ ابـن عثـيمين بعنايتـــه ودعمـــه ورعايتـــه فيكلفـــه بالتـــدريس في الجـامع الكـبير بعنيـزة وهـو مـا زال طالبًـا عنـده، فبـدأ التـدريس عـام ١٣٧٠هــ وعمـره ٢٣ سـنة، فـانظر لحكمـة الـسعدي وحنكتـه كيـف صـنعت لنـا عالمـاً فريـداً في علمـه وعطائـه حـين شـجعه علـى الاسـتقلال، وقدّمـه للمجتمـع كأحـد الطاقـات الـشبابية الواعـدة في اقتفـاء لمـنهج الـسيرة النبويـة في مـنح الـشباب مراكـز القيـادة والـصدارة الـتي يـستحقونها: فهـو ﷺ مـن أرسـل مـصعب بـن عمـير ليكـون رسـوله في المدينـة المنورة، وعيّن أسامة بن زيد قائداً للجيش.

وكـان مـن زمـلاء ابـن عثـيمين في طلـب العلـم عنـد الـشيخ الـسعدي الـشيخ عبـدالله بـن عبـدالرحمن البـسام، عـضو هيئـة كبـار العلمـاء، الـذي يقـول: كنـا نحفـظ المتـون ونقـرأ القـرآن بعـد صـلاة العـصر وفي أول الليل وبقينا على ذلك عشر سنوات.

ودرس أيـضاً ابـن عثـيمين الفـرائض علـى الـشيخ عبـد الـرحمن بـن علـي بـن عـودان، قاضـي عنيـزة، وقـرأ علـى الـشيخ عبـد الـرزاق عفيفـي في النحـو والبلاغة حين كان مدرساً بعنيزة.

ولمـا فـتح المعهـد العلمـي في الريـاض عـام ١٣٧٢هــ أشـار عليـه الـشيخ علـي بـن حمـد الـصالحي أن يلتحـق بـه، فاسـتأذن شـيخَه العلامـة عبـد الـرحمن بـن ناصـر الـسعدي – رحمـه الله – فـأذن لـه، والتحـق بالمعهـد سـنتين (١٣٧٢ – ١٣٧٣هــ)، وهنـاك التقـى بكوكبـة من العلماء على رأسهم:

العلامـة المفسِّر الـشيخ محمـد الأمـين الـشنقيطي، والـشيخ الفقيـه عبـدالعزيز بـن ناصـر بـن رشـيد، والـشيخ المحـدِّث عبـد الـرحمن الإفريقـي – رحمهـم الله تعالى – .

ولكـن الفائـدة الكـبرى كانـت باللقـاء والتتلمـذ علـى يـد الـشيخ العلامـة عبـد العزيـز بـن بـاز – رحمـه الله – ، فقـرأ عليـه في صـحيح البخـاري ومـن رسـائل شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة، وانتفـع بـه في علـم الحـديث والنظـر في آراء فقهـاء المـذاهب والمقارنـة بينهـا، ويُعـدُّ سماحـة الـشيخ عبـد العزيـز بـن بـاز – رحمـه الله – هـو شـيخه الثـاني في التحـصيل والتـأثُّر بـه بعـد الـشيخ السعدي.

وفي المعهـد ظهـر تميـزه أيـضاً، حيـث رفعـه المـشرفون للـسنة الثانيـة مباشـرة، يقـول الـشيخ عـن دراسـته فيـه: «كـان المعهـد العلمـي في ذلـك الوقـت ينقـسم إلى قـسمين: خـاص وعـام. فكنـت في القـسم الخـاص، ومـن نظـام المعهـد في ذلـك الوقـت أنـه مـن أراد أن يقفـز – بمعنـى أن يـدرس الـسنة المـستقبلة في أثنـاء الإجـازة ثـم يختبر في أول العـام الثـاني، فـإذا نجـح انتقـل إلى الـسنة الـتي بعـدها – فلـه ذلـك، وبهـذا اختـصرت الـزمن، ثـم التحقـت بكليـة الـشريعة في الريـاض انتـساباً لأكـسب ملازمـة الـشيخ عبـدالرحمن الـسعدي رحمـه الله تعـالى وأنـتظم في دروسـه، وتخرجت من كلية الشريعة عام ١٣٧٧هـ».

وبقـي ابـن عثـيمين يَـدْرس علـى شـيخه الـسعدي حتـى وفاتـه سـنة ١٣٧٦هــ، وهنـا تحولـت حيـاة ابـن عثـيمين مـن كونـه طالبـاً عنـد الـشيخ الـسعدي لكونـه خليفته.

وقـد كـان لهـؤلاء العلمـاء أثـر كـبير علـى شخـصية ابـن عثـيمين، فمِـن الـسعدي أخـذ الـصبر علـى التعلـيم وتقريـب العلـوم والمعـاني والرفـق بالنـاس حيـث كـان يمـازح الـصغير ويـضحك مـع الكـبير وتـأثر بأخلاقـه كـثيراً، ومـن الـشيخ ابـن بـاز أخـذ العنايـة بالحـديث وبـسط نفـسه للنـاس، وتـأثر بالـشنقيطي في علمـه

وسمته وورعه وزهده.

أما كتب ابن تيمية وابن القيم فلهما أثر بالغ على ابن عثيمين ومنهجه العلمي الرصين المدعوم بالحجة مع الأسلوب الواضح، وذكر الشيخ في آخر حوار له مع مجلة الدعوة أنه تأثر بالعلامة رشيد رضا في تحقيق المسائل، وهذا يدل على سعة اطلاع الشيخ ومتابعته لمجلة المنار الشهيرة.

جوانب الإصلاح في حياة الشيخ ابن عثيمين:

١- تدريسه وإمامته بعد السعدي:

مرّ معنا أن الشيخ السعدي في حياته كان قد أمر ابن عثيمين بالتدريس وعمره ٢٣ عاماً، وبعد تخرجه من المعهد العلمي بالرياض، عُين مدرساً في المعهد العلمي بعنيزة عام ١٣٧٤هـ وبقي مدرساً فيه حتى عام ١٣٩٥ه، وكان في نفس الوقت يدرس على شيخه السعدي، ويتابع دراسته انتسابًا في كلية الشريعة بالرياض.

فلما توفي السعدي، قام الشيخ محمد بن عبدالعزيز، قاضي عنيزة وأحد أقدم طلاب السعدي، بترشيح ابن عثيمين خلفاً للسعدي في الإمامة والتدريس والخطابة، ورضي بذلك أمير عنيزة عبدالله الخالد السليم والأمير خالد بن عبد العزيز آل سليم والشيخ محمد الزامل وعدد من الوجهاء، فتولى ابن عثيمين الإمامة والتدريس والخطابة في المسجد الجامع بعنيزة خلفاً للشيخ السعدي وعمره ٢٩ عاماً، وذلك سنة ١٣٧٦ه وحتى وفاته سنة ١٤٢١ه أي ٤٥ سنة متواصلة استفاد منها آلاف الطلبة، تقبل الله منه.

فواصل ابن عثيمين التدريس مكان شيخه السعدي حتى وفاته رحمه الله، وأيضاً درّس ابن عثيمين في جامع الضليعة ١٦ عاماً (١٣٩٠ – ١٤٠٦ه)، حيث درّس فيه عددا من كتب الفقه بعد المغرب من يومي الأحد والثلاثاء.

بدأ الشيخ دروسه على عادة الشيخ السعدي في مكتبة مسجد عنيزة التي أسسها عام ١٣٥٩هـ، وكان عدد الطلاب عند الشيخ ابن عثيمين قليلا جداً في البداية قد لا يتجاوز العشرة طلاب، وكان الشيخ لا يستنكف أن يدرس من حضر ولو كان طالباً واحداً، وبقي الشيخ مواظبا على التدريس على هذه الحال قرابة عشرين سنة، حتى فتح الله عليه وأصبحت الطلبة تتوافد عليه من كل مكان.

ولما كثر الطلبة صارت المكتبة لا تكفيهم؛ فبدأ يدرِّس في المسجد الجامع نفسه، واجتمع إليه الطلاب وتوافدوا من المملكة وغيرها حتى بلغوا المئات في بعض الدروس، وهؤلاء يدرسون دراسة تحصيل جاد، لا لمجرد الاستماع، وكان الشيخ يقدم عدة دروس يوميا سوى اللقاءات الخاصة أو ما يشرحه للطلبة أثناء ذهابه للمسجد مشياً، فكم من كتب شرحها الشيخ وهو ماشٍ للمسجد لبعض الطلبة، وكم من أسئلة أجاب عليها في تلك الحال!! وكان منزل الشيخ يبعد حوالي ١٠٠٠ متر عن المسجد، وبقي طيلة ٤٠ سنة يذهب مشياً صيفا وشتاءً، وفي مرة من المرات حين رجع لمنزله وجد الشرطة تمنع الناس من الوصول لبيته الطيني لأن الملك فهد في المنزل يزور الشيخ، وقد رفض الشرطة في البداية السماح له بدخول المنزل إلا بعد وقت حين عرفوا أنه الشيخ ابن عثيمين!!

ويروي الشيخ وليد الحسين – من العراق، رئيس تحرير مجلة الحكمة – وأحد أبرز تلاميذ الشيخ أنه التحق بدروس الشيخ في عام ١٤٠٢ه ولم يكن عدد الطلبة يتجاوز العشرة، وكان لهم سكن بجوار مسجد الشيخ المبني من الطين من زمن الشيخ السعدي، وهذا السكن بناية من ثلاثة أدوار فيها تسع شقق، تبرع بها الملك خالد لتلاميذ الشيخ، وكان الشيخ يهتم بطلبته وربما أحضر الطعام من بيته للسكن وأكل معهم.

ويقول الحسين إنه بعد عام ١٤٠٦ه بدأت وفود

الطلاب تهل، فربما وصل عدد حضور الدروس العلمية إلى ٦٠٠ طالب على تنوع أعمارهم وتحصيلهم، فتجد الطالب بالجامعة وتجد المحاضر بها وقد تجد عميد كلية من بين الحضور، فضلاً عن الأطباء والمهندسين وغيرها من التخصصات، وغالبهم من السعوديين.

وبعد عام ١٤١٠هـ توافد الطلبة من خارج المملكة، فأصبح السكن يضم طلبة متزوجين وعزابا، فعيّن الشيخ أحد طلابه وهو الشيخ عبدالوهاب الزياني من البحرين مشرفاً على السكن، وكان الشيخ يتابع بنفسه أيضاً شؤون السكن واحتياجاته.

ونقلت له مكتبة الشيخ السعدي وأضيف لها الكثير من المراجع والكتب والأشرطة، وخصص لها قاعتين واحدة للكتب وواحدة للمطالعة.

وتم إنشاء مطعم داخلي للسكن ووضع نظام إداري له، وضاق السكن بالطلبة إذ وصل عدد الطلبة العزاب إلى ٥٠، فكان البعض يسكن في شقق للشيخ عبدالله السبيعي مجاناً، ويستفيدون من مطعم السكن، وكان الشيخ يكفل الطلبة ويقدم لهم معونات مالية.

ثم تبرع أحد المحسنين ببناء سكن كبير للطلبة وجعله قسمين: قسما للطلبة المتزوجين وقسما للطلبة العزاب، وفيه مطعم.

وكان الشيخ يتعاهد طلبته بالتعليم، والتوجيه في قضاياهم العامة إذا لاحظ خللاً عاماً، وأيضاً يتابع المشاكل الخاصة للطلبة، وكان يوفر لهم سبل العيش للتفرغ لطلب العلم كتوفير السكن أو بدل الإيجار، وقضاء ديونهم، وصرف رواتب شهرية لهم، وتوفير المراجع اللازمة لهم سواء في المكتبة العامة، أو من خلال إهدائهم الكتب وتزويدهم بها، وتعويدهم على البحث والكتابة والإلقاء بفتح المجال للمناقشات والمناظرات وطلب البحوث منهم.

ومنذ عام ١٤٠٢هـ كان الشيخ في العطلة الصيفية يقيم دورات صباحية مكثفة للطلبة الذين لا يتمكنون من القدوم في الأوقات الأخرى من الساعة ٨- ١٢، مع بقاء برنامجه العام مستمراً!

واحتوت هذه الدورات على عدة دروس يومية في الصباح يدرسهم فيها الشيخ مباحث متنوعة ومحددة في عدد من العلوم الشرعية، مع توفير الإقامة والطعام لهم، وقد استفاد من هذه الدورات الكثير من الطلبة في الداخل والخارج وخاصة طلبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وقد تميز الشيخ بمنهج فريد في التدريس يشد انتباه الطلاب بتنوع الأساليب مع التركيز على حفظ المتون، وطرح الأسئلة وضرب الأمثلة، وتبسيط العلوم ووضعها على شكل نقاط يسهل فهمها وحفظها، وإجراء مراجعة عند نهاية كل فصل أو باب، وفتح الباب للأسئلة، كما أنه كان يكلف الطلبة المتقدمين بتدريس بعض المباحث للمستجدين، وكان لهم أيضاً دروس في مسجده وقد أصبحوا الآن من الدعاة والعلماء المعروفين، لقد تميز الشيخ بأنه يعلم طلابه صيد السمك وليس أكله فقط!

وكان تأثير دروس الشيخ يصل إلى آفاق الدنيا وذلك من خلال ما يلي:

١- الطلبة: والذين تتنوع جنسياتهم فينقلون علم الشيخ إلى أهاليهم، وكذلك بحسب وظائفهم حيث منهم المدرس والإمام والواعظ فينقلون علم الشيخ لدوائر كبيرة، فمثلاً كان الطلبة السودانيون في الإجازة الصيفية يقيمون الدورات العلمية في كافة أنحاء السودان فينشرون علم الشيخ ومنهجه.

٢- نقل الدروس مباشرة عبر الهاتف: حيث كانت بعض دروس الشيخ تنقل عبر الهاتف إلى دول أخرى عربية وأوروبية، وفي إحدى المرات استمع

للشيخ ١٠٠ مركز إسلامي بأمريكا عبر الهاتف دفعة واحدة، وهذا قبل الفضائيات والإنترنت.

٣- أشرطة الدروس: كان الشيخ يحرص على تسجيل الدروس ونشرها بين الناس في داخل المملكة وخارجها، وفي مرة من المرات حضر خطبةَ الجمعة عنده ضيف من دولة مجاورة، وقال له أثناء تناول طعام الغداء: يا شيخ هذه الخطبة لو سُجلت لنفعت زملائي في العمل، فما كان من الشيخ إلا أن أدار جهاز التسجيل وأعاد الخطبة كما هي، وهو واقف، ثم سلمه الشريط! ولذلك يمتاز الشيخ بكثرة الأشرطة المسجلة له، وقد كان أول من انتظم في تسجيل دروس الشيخ الأخ غانم بن مرزوق الحربي في عام ١٤٠٤ه تقريباً حيث سجل ١٠٠٠ شريط للشيخ، وأول شركة تسجيلات اهتمت بدروس الشيخ هي تسجيلات الهدي، ثم تبعتها تسجيلات التقوى عام ١٤٠٦ه والتي خصصت موظفا لهذه المهمة من طلبة الشيخ هو الأخ عبدالرحمن رستم من لبنان، ثم تبعتها تسجيلات الاستقامة عام ١٤٠٨ه فعينت الأخ موسى الهادي من السودان لهذه المهمة فلازم الشيخ حوالي ١٥ سنة وحتى وفاته.

٤- دروس الشيخ في الحرم المكي: حيث كان للشيخ دروس في الحرم المكي في شهر رمضان وموسم الحج على السطح لمدة تزيد عن ٢٥ عاماً، يحضرها المعتمرون من مختلف البلاد فيحملون علمه إلى مَن خلفهم، وهذا ساهم في انتشار أشرطة الشيخ وكتبه في العالم، وقد بقي حريصاً على هذه الدروس، فمرة ألقى الدرس وعليه لباس الإحرام حتى لا يضيع الدرس على الناس إذا ذهب للسكن لتبديل ملابسه! وحتى في أشد حالات مرضه بالسرطان، ففي رمضان عام ١٤٢١هـ تفشى المرض في جسمه ولكنه أصرّ وألحّ على الذهاب للحرم والتدريس فنقل بطائرة طبية مع فريق طبي وخصصت له غرفة مجهزة بكافة المستلزمات الصحية، وفي اليوم التاسع والعشرين اشتد عليه المرض ونقل لجدة وأُدخل العناية المركزة، وبعد خمس ساعات أفاق وأصرّ على العودة للحرم، وألقى درسه بعد صلاة التراويح وهو في حالة صعبة جداً وكمامة الأوكسجين على أنفه، وأخبر الناس أن هذا الدرس لعله يكون الأخير.

كما أن الشيخ كان له في الحج العديد من الدروس في مخيمات منى، وفعلا كان الشيخ شيخ العامة وعالمهم، كما كان يقول علماؤنا مدحاً: فلان رجل عامة.

ومن تأمل هذا الجهد الكبير للشيخ في التدريس والتعليم طيلة هذه السنين، يفهم كيف حدثت الصحوة السلفية العلمية في العالم وكيف انتشر المنهج في مختلف الأقطار، ويفهم ويدرك لماذا نشعر اليوم بحالة من الفتور والفراغ العلمي، فقد كان العلماء الكبار كابن باز والألباني وابن عثيمين بمثابة ماكنة بث ضخمة للعلم والدعوة تعمل دون ضجيج وإثارة، ولم يدرك الكثير حقيقة دورهم العلمي في الصحوة والإصلاح إلا حين غابوا عن دنيانا، وشعرنا بالفراغ الهائل برحيلهم!

وكنت بساحة التعليم شيخاً
إلى أفيائه تفد الوفود
تقيم أواصر الإحسان حتى
تحققت العوائد والوعود
وعمّ الخير أهل العلم حبا
وإكراماً وفائدة تعود
فقرت مقلة وانسر قلب
يضمهم إليه ويستزيد
ويمضي السائرون على الطريق
وراءك والطريق هو السديد

٢- التدريس الأكاديمي:

قلنا إن الشيخ بقي مدرِّسًا في المعهد العلمي بعنيزة من عام ١٣٧٤هـ إلى عام ١٣٩٥هـ، وكان

مشرفاً على جمعية الدعوة الإسلامية في المعهد التي ترعى نشاطات الطلبة عام ١٣٩٤هـ، ثم انتقل إلى التدريس في كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وظل أستاذًا فيها حتى وفاته- رحمه الله تعالى - .

٣- المجالس الخاصة:

كان للشيخ عدد من المجالس الخاصة بفئات محددة من الناس، مثل:

- مجلس أسبوعي خاص بقضاة منطقة القصيم يتدارسون فيه بعض الكتب الشرعية (١٤٠٧- ١٤٢١).
- مجلس أسبوعي خاص لكبار طلبة الشيخ (١٤١٣- ١٤١٢).
- مجلس شهري خاص بأعضاء قسم العقيدة بجامعة الإمام فرع القصيم (١٤٠٩- ١٤٢١).
- مجلس خاص للدعاة ببريدة ولكن بُعد المسافة منع استمراره (١٤١٤- ١٤١٧).
- مجلس نصف شهري لعدد من المشايخ (١٤١٦هـ - ١٤٢١).
- مجلس شهري لخطباء عنيزة (١٤١٨- ١٤٢١).
- مجلس شهري لأعضاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١٤١٢ – ١٤٢١).

٤- تكليفه بوضع المناهج:

فرّغت إدارة معهد عنيزة العلمي الشيخ لوضع عدد من الكتب والمناهج للطلبة في المعهد، وذلك لِما للشيخ من قدرة على تبسيط المعلومة وتوصيلها للطالب مع الدقة البالغة والعلم الواسع، ومن قصص ورع الشيخ أنه حين صُرفت له مكافأة على تقديم بعض المحاضرات في كلية الشريعة ردها وقال: وقت هذه المحاضرات اقتطعته من الوقت المخصص لتأليف المقررات الدراسية للمعاهد، وبذلك لا أستحق ما صرف!!

٥- الدور الدعوي العام:

بالإضافة إلى هذه الدروس في الجامع بعنيزة والمعهد والكلية، والحرم ومكة، فإنه كان دائم التنقل لإلقاء المحاضرات في كافة مناطق المملكة.

وقد عين الشيخ عضوًا في هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية من عام ١٤٠٧هـ إلى وفاته.

وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويناصح ولاة الأمر، فحين علم أن بعض النساء ينوين التظاهر لقيادة السيارات في الرياض إبان أزمة الخليج، بادر بالاتصال على أمير الرياض الأمير سلمان، فقيل له: هو نائم، فقال: أيقظوه، قولوا له ابن عثيمين يريد التحدث معك الآن لأمر ضروري، فأيقظوه وأوصاه الشيخ بوضع حد لذلك!

ساهم الشيخ في تأسيس الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن سنة ١٤٠٥هـ، وتبرع لها عند التأسيس بـ ٢٥ ألف ريال، وتولى رئاستها منذ تأسيسها وحتى وفاته وتابع اجتماعات الإدارة والمهرجانات واللقاءات التي تقيمها الجمعية، وساهم بتوفير أوقاف لها لتبقى مستمرة.

كما دعم الشيخ طلب تأسيس مكتب رعاية الجاليات بالقصيم سنة ١٤٠٧هـ وقبل أن يكون مشرفاً عليه بحسب اشتراط الشيخ ابن باز رحمه الله للسماح به، وكان الشيخ يشرف على نشاطاته والتي دخل المئات في الإسلام بسببه.

ومشاركة الشيخ في الإذاعة كانت مشاركة فاعلة في برنامج نور على الدرب وبرنامج فتوى على الهاتف وبرنامج منار الإسلام وغيرها من البرامج النافعة.

وكان الشيخ مهتماً بمتابعة نشاطات الدعوة في الغرب، ومن ذلك أنه زود بعض القائمين على مراكز إسلامية بأمريكا بهاتفه الخاص للحالات

الطارئة والتي تحتاج تدخل الشيخ لمنع الخلافات والفتن بين المسلمين هناك.

كما كان الشيخ يحرص على طباعة الكتب ونشرها مجاناً سواء كانت له أو لغيره، وكان يكلف عددا من المؤسسات الدعوية بالقيام بذلك داخل المملكة وخارجها، ففي عام ١٤١٦هـ كان الشيخ في مطار جدة بين الحجاج القادمين يوجههم ويعلمهم، فجاء فوج من حجاج إحدى الجمهوريات الإسلامية في روسيا، ورغب الشيخ أن يتحدث معهم فطلب مَن يترجم كلامه فجاء مشرف الحملة وبدأ بالترجمة للشيخ، ولما انتهى سأل: مَن الشيخ؟ فقيل له الشيخ ابن عثيمين، فاحتضن الشيخ يقبله ويبكي ثم قال للحجاج بلغتهم: إن هذا هو الشيخ ابن عثيمين، فبكوا جميعا وأقبلوا يقبّلون الشيخ، وأخبر المترجم الشيخ أن هؤلاء هم من طلابك كانوا يدرسون كتبك في الأقبية تحت الأرض خلال الحكم الشيوعي.

هذا هو تأثير الشيخ ابن عثيمين ودوره في نشر العلم والمنهج والذي يجهله الكثيرون وهو الجهد الذي نشر الدعوة في ربوع العالم، وهو الجهد الذي نحتاج اليوم أن نقتدي به إن كنا على منهجه وطريقته حقاً.

٦- الدور الخيري والإغاثي:

لا يقتصر دور الشيخ في هذا المجال على مساعدة الفقراء والمعوزين، بل كان الشيخ يهتم لأمر المسلمين ونكباتهم العامة فيرتب في مسجده حملة لجمع التبرعات للقضايا الكبرى مثل: فلسطين وأرتيريا والبوسنة والهرسك وكوسوفا والشيشان، وربما أرسل بعض الطلبة لإيصالها إلى هناك.

وكان الشيخ متعاوناً مع عدد من المؤسسات والجمعيات الإغاثية والدعوية والتي لها نشاط خارج المملكة مثل مؤسسة الحرمين وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية.

وشجع الشيخ ودعَم فكرة إنشاء صندوق خيري للزواج في عنيزة في عام ١٤٠٧هـ مما كان له بالغ الأثر في نجاح الصندوق واستفادة الشباب والفتيات من خدماته.

٧- دوره في دعم الجهاد:

اهتم الشيخ بدعم الجهاد والمجاهدين في عدد من البلاد الإسلامية وكان يستقبل وفودهم ويفتي بجواز دفع الزكاة للمجاهدين، فقد كان يجمع التبرعات في مسجده لصالح الجهاد الأفغاني ويرسل مندوبا عنه يتفقد الأمور هناك ويوافيه بما يحتاجونه وأخبارهم.

كما كان له دور بارز في دعم الجهاد الشيشاني، فقد كان الشيخ هو مرجع المحاكم الإسلامية في الشيشان إذا أشكل عليهم شيء، وقد زودهم برقمه الخاص وسمح لهم بالاتصال به في أي وقت بسبب وضعهم الجهادي، وكان يتعاهدهم بالسؤال والاستفسار عن أحوالهم وسير معاركهم.

٨- مؤلفات الشيخ:

ظهرت للشيخ خلال أكثر من خمسين عامًا الكثير من المؤلفات زادت على ١٠٠ مؤلف، إلا أن أغلبها لم يتفرغ لتأليفها الشيخ وإنما فرغت من أشرطته ومحاضراته وخاصة الكتب الكبيرة كالشرح الممتع وشرح رياض الصالحين وأمثالها، وإنما تفرغ الشيخ لبعض الرسائل الصغيرة وبعض الكتب المخصصة للمعاهد العلمية.

وقد تخصص بعض طلبة العلم بإخراج علم الشيخ ومحاضراته على شكل مؤلفات من أبرزهم:

❖ د. عبدالله الطيار، والذي بدأ منذ عام ١٤٠٣هـ بإخراج سلسلة الباب المفتوح، وهو توثيق لمجالس الشيخ كل يوم خميس لعامة الناس قبل صلاة الظهر بساعة، وسلسلة اللقاء الشهري، وسلسلة برنامج منار الإسلام.

كما أخرج عدة كتب للشيخ منها فقه العبادات، وشرح مقدمة التفسير، وشرح رياض الصالحين، وتفسير سورة البقرة.

❖ الشيخ فهد السليمان، وهو قد عرض على الشيخ ابن باز جمع فتاوى ورسائل ابن عثيمين فشجعه الشيخ ابن باز وقال له «الشيخ محمد العثيمين رجل عالم ورجل صالح فبادر وأبشر بخير»، وفعلا بدأ في عام ١٤٠٧هـ بجمع فتاوى الشيخ حتى وفاته وأخرج المجلد الأول من فتاوى ابن عثيمين عام ١٤١٠هـ وبقي متواصلاً مع الشيخ حتى وفاته يجمع له الفتاوى ويصححها الشيخ بنفسه حتى صدر منها ١٥ مجلداً.

❖ وهناك اللجنة العلمية التي أشرفت على كتاب الشرح الممتع وتضم: د. سليمان أبا الخيل ود. خالد المشيقح، واللذين اعتمدا على مذكرات سبق جمعها من وليد الحسين وعدد من طلبة الشيخ، ثم بعد الطبعة الأولى تكونت لجنة بإشراف الشيخ لمراجعة الأخطاء المطبعية، ثم تمت الاستفادة من جهد الشيخ عمر الحفيان في خدمة الكتاب بمعرفة الشيخ وتوجيهه.

والآن أصبحت مؤسسة الشيخ محمد الصالح ابن عثيمين هي المشرفة والقائمة على نشر تراث الشيخ وتدقيقه.

٩- منحه جائزة الملك فيصل:

مُنح الشيخ جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤١٤هـ، وجاء في الحيثيات التي أبدتها لجنة الاختيار لمنحه الجائزة ما يلي:

أولاً: تحلِّيه بأخلاق العلماء الفاضلة التي من أبرزها الورع، ورحابة الصدر، وقول الحق، والعمل لمصلحة المسلمين، والنصح لخاصتهم وعامتهم.

ثانيًا: انتفاع الكثيرين بعلمه؛ تدريسًا وإفتاءً وتأليفًا.

ثالثًا: إلقاؤه المحاضرات العامة النافعة في مختلف مناطق المملكة.

رابعًا: مشاركته المفيدة في مؤتمرات إسلامية كثيرة.

خامسًا: اتباعه أسلوبًا متميزًا في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتقديمه مثلاً حيًّا لمنهج السلف الصالح؛ فكرًا وسلوكًا.

وفاته:

تُوفي رحمه الله بجدّة في الخامس عشر من شهر شوال عام ١٤٢١هـ، وصُلِّي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة عصر يوم الخميس، ثم شيّعه الآلاف من المصلّين إلى مقبرة العدل في مكة المكرمة ودفن بجوار شيخه الشيخ ابن باز رحمهما الله.

مراجع للتوسع:

١- الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين، وليد أحمد الحسين، منشورات مجلة الحكمة، ط ١، ٢٠٠٢.

٢- ابن عثيمين الإمام الزاهد، د ناصر الزهراني، دار ابن الجوزي، الدمام، ط ١، ٢٠٠١.

٣- محمد صالح العثيمين العالم القدوة، إبراهيم العلي وإبراهيم باجس، دار القلم، دمشق، ط ١، ٢٠١٠.

٤- صفحات من حياة الفقيد العالم الزاهد الشيخ محمد بن عثيمين، د. عبدالله الطيار، منشورات المجلة العربية، ٢٠٠١.

شيخ الإسلام ابن تيمية يواجه التتار وشيعة كسروان

هيثم الكسواني(*) - خاص بـ «الراصد»

عانى المسلمون من التتار معاناة عظيمة، بل لعلّهم لم يعانوا مِن قوم كما عانوا من التتار[1]، ففي القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) بدأ التتار الوثنيون يحتلون البلاد الإسلامية الواحدة تلو الأخرى، ويعيثون فيها فسادا، ويرتكبون فيها المجازر المروّعة التي لا يمكن وصفها، ووصلت ذروة إجرامهم باحتلال بغداد، عاصمة دولة الخلافة العباسية، واستباحتها، وتدمير حضارتها، وإبادة معظم أهلها في سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م).

وبعدما تمكن التتار من إسقاط الدولة العباسية، واحتلال العراق وأجزاء واسعة من العالم الإسلامي، توجّهت أنظارهم صوب بلاد الشام ومصر، وكان هذان البلدان - آنذاك- تحت حكم دولة المماليك الذين صمّموا على صدّ عدوان التتار، والانتصار للمسلمين، فأعلنوا الجهاد، والتقوا مع التتار في معركة فاصلة حاسمة هي معركة عين جالوت بقيادة السلطان قطز في سنة ٦٥٨هـ (١٢٦٠م)، كان النصر فيها - بحمد الله- للمسلمين.

وعلى الرغم من أن (عين جالوت) قصمت ظهر التتار، وأعادتهم إلى الوراء، إلاّ أنها لم تنهِ طموحاتهم باحتلال الشام ومصر، والانتقام من المماليك، وظلت بلاد الشام مسرحا لاعتداءاتهم، خاصة مع انتشار الخلافات في صفوف المماليك، وجُبن بعض سلاطينهم، الذين كانوا يتوجهون للإقامة في مصر، تاركين بلاد الشام دون حماية تذكر، ما جعلها فريسة سهلة للتتار.

وبالرغم من أن المسلمين عموما كانوا يتصدّون للتتار وإفسادهم، إلاّ أن تطورا مهما إدّى إلى إضعاف معنويات المسلمين، والْتباس الأمر عليهم، وترددهم بمحاربة التتار، هذا التطور تمثل بدعوى إسلام ملك التتار قازان (ويُقال له أيضا: غازان)، وإسلام قومه، فصار كثير من المسلمين يرون أنه لا داعي لمقاومة التتار ما داموا قد أصبحوا مسلمين، وبأنه لا فرق بين التبعية للمماليك أو التتار.

يقول الإمام ابن كثير في أحداث سنة ٦٩٤هـ: «وفيها أسلم ملك التتر قازان بن أرغون ... فأسلم وأظهر الإسلام على يد الأمير نوروز، رحمه الله تعالى، ودخلت التتر أو أكثرهم في الإسلام، ونثر الذهب والفضة واللؤلؤ على رؤوس الناس يوم

(*) كاتب أردني.

(١) يطلق عليهم أيضا: المغول والمنغول والمغل والتتر.

إسلامه، وتسمّى بمحمود، وشهد الجمعة والخطبة، وخرّب كنائس كثيرة، وضرب عليهم الجزية، وردّ مظالم كثيرة ببغداد وغيرها من البلاد، وظهرت السُّبح والهياكل مع التتر، والحمد لله وحده».

وترى الباحثة مريم محمد أن إسلام قازان لم يكن سوى حيلة لتشتيت معسكر المسلمين وإضعافه، وتقول: «... وكان (أي قازان) سياسيا محنكا وقائداً مجربا أخذ يراجع حساباته ويقلب الأمور في أسباب الهزائم المتكررة التي لحقت بالتتر، فمنذ موقعة عين جالوت إلى موقعة حمص والتتر في هزائم متكررة، فرأى أنه يحكم شعبا مسلما يدين بالإسلام، وينظر إلى حكامه المغول الوثنيين نظرة ريب وتشكك، فلا يتعاونون معهم في حروبهم ضد إخوانهم المسلمين، لذلك رأى أن أفضل طريقة يستطيع بها أن يكسب شعبه إلى صفه والوقوف إلى جانبه في حروبه ضد المماليك هي أن يدخل في دين شعبه ويعلن إسلامه ...

ولكي يزيد من التفاف شعبه حوله أظهر الفرح والسرور بذلك فنثر الذهب والفضة عليهم، وشهد الجمعة وصام رمضان، للإمعان في تضليل المسلمين تسمى باسم رسول الله ﷺ فأطلق على نفسه اسم محمود غازان، وقام بالانتصاف للمسلمين من المسيحيين بعد ما نالهم الأذى والاضطهاد في عهد سلفه فنجحت خططه كما سنرى فيما بعد في موقعة وادي الخازندار إن شاء الله إذ لم يقتصر الأمر على كسبه لشعبه فقط بل تعداه إلى جيش الشام ومصر الذي ألقى السلاح حين علم أثناء المعركة بإسلام غازان لحرمة دم المسلمين، ولعلم المسلمين بحديث الرسول ﷺ: (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار)».

وتنقل الباحثة عدة شواهد على أن إسلام قازان وقومه كان خدعة، منها أنه حين أراد التزوج بإحدى زوجات أبيه، وشريعتهم لا تحرم ذلك، أعلمه أحد العلماء بتحريم ذلك في الإسلام ففكر أن يرتد عنه لكي ينال بغيته، وكذلك ما مارسه التتار من قتل وسرقة ونهب وانتهاك لحرمة بيوت الله، فيقول المؤرخ المقريزي: «واتخذوا الجامع حانة يزنون ويلوطون ويشربون الخمر فيه..».

وعلى كل حال، فقد انطلت هذه الحيلة على قسم من المسلمين، واستطاع قازان أن يُلحق الهزيمة بجيش المسلمين في موقعة الخازندار (وتُسمى أيضا: موقعة قازان) في ربيع الأول من سنة ٦٩٩هـ، وخُطب لقازان على منابر المساجد، ودُعي له بعد الصلاة، ودخل عدد من المسلمين وأعيانهم في خدمة التتار.

لكنّ الله قيّض للمسلمين عالما ربانيا يرشدهم ويزيل ما التبس عليهم من أمر التتار وإسلامهم، هذا العالِم هو شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية، الذي كان يدعو الناس باستمرار لقتالهم والصبر على ذلك، يقول ابن كثير: «وقد تكلم الناس في كيفية قتال هؤلاء التتر من أي قبيل هو، فإنهم يُظهرون الإسلام وليسوا بغاةً على الإمام، فإنهم لم يكونوا في طاعته في وقت ثم خالفوه.

فقال الشيخ تقي الدين: هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على عليٍّ ومعاوية، ورأوا أنهم أحق بالأمر منهما، وهؤلاء يزعمون أنهم أحق بإقامة الحق من المسلمين، ويعيبون على المسلمين ما هم متلبسون به من المعاصي والظلم، وهم متلبسون بما هو أعظم منه بأضعاف مضاعفة، فتفطن العلماء والناس لذلك.

وكان يقول للناس: إذا رأيتموني من ذلك

الجانب وعلى رأسي مصحف فاقتلوني، فتشجع الناس في قتال التتر وقويت قلوبهم ونياتهم، ولله الحمد».

كان من نتائج جهود ابن تيمية وجهاده ونظرته الثاقبة أن ثبّت الله المسلمين للقتال، فاستجمعوا قواهم وخاضوا ضد التتار موقعة (شقحب) في سنة ٧٠٢هـ، وفيها كتب الله النصرَ للمسلمين، ولم تقم للتتار قائمة بعدها في بلاد الشام.

وخلال تلك المعارك لم يفت ابن تيمية أن يقاتل طائفة أخرى اعتدت على المسلمين أثناء انسحابهم بعد هزيمتهم من التتار في موقعة الخازندار، هذه الطائفة هي شيعة كسروان المعروفين بالكسروانيين، حيث دأب الشيعة والفرق المنحرفة أن يقفوا في صف أعداء الأمة ضد المسلمين، يقول ابن كثير في أحداث سنة ٦٩٩هـ: «وفي يوم الجمعة العشرين من شوال ركب نائب السلطنة جمال الدين آقوش الأفرم في جيش دمشق إلى جبال الجرد وكسروان، وخرج الشيخ تقي الدين ابن تيمية ومعه خلق كثير من المطَّوِّعة والحوارنة لقتال أهل تلك الناحية، بسبب فساد دينهم وعقائدهم وكفرهم وضلالهم، وما كانوا عاملوا به العساكر لما كسرهم التتر وهربوا؛ حين اجتازوا ببلادهم وثبوا عليهم ونهبوهم، وأخذوا أسلحتهم وخيولهم وقتلوا كثيراً منهم.

فلما وصلوا إلى بلادهم جاء رؤساؤهم إلى الشيخ تقي الدين ابن تيمية فاستتابهم، وبيّن لكثير منهم الصواب، وحصل بذلك خير كثير، وانتصار كبير على أولئك المفسدين، والتزموا بردِّ ما كانوا أخذوه من أموال الجيش، وقرر عليهم أموالاً كثيرة يحملونها إلى بيت المال، وأُقطعت أراضيهم وضياعهم، ولم يكونوا قبل ذلك يدخلون في طاعة الجند ولا يلتزمون أحكام الملة، ولا يدينون دين الحق، ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله».

للاستزادة:

❖ الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، طبعة مؤسسة المعارف ودار ابن حزم، بيروت، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

❖ مريم محمد عوض، دور ابن تيمية في الجهاد ضد المغول الإيلخانيين (رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي)، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

من يقتل أهلَ العراق؟ من يْصنع الفتنة؟!
قراءة في تصريحات الجنرال جورج كيسي الأخيرة

صباح العجاج(*)– خاص بالراصد

كشف الجنرال «جورج كيسي» رئيس قيادة أركان قوات الاحتلال الأمريكية السابق في العراق، النقاب عن أن إيران هي المسؤول عن تفجير المرقدين العسكريين في قضاء سامراء بمحافظة صلاح الدين في ٢٢ شباط ٢٠٠٦، فقد ذكرت وكالات الأنباء العالمية وحتى العراقية أن جورج كيسي قال في كلمة ألقاها خلال مؤتمر عقدته المعارضة الإيرانية في باريس بحضور ٦٠٠ شخصية سياسية وبرلمانية من ٤٧ دولة بتاريخ ٢٠١٣/٦/٢٢: (إن نظام الملالي في طهران مسؤول مسؤولية مباشرة عن مقتل الآلاف من العراقيين).. مؤكداً أن إيران فجّرت المرقدين العسكريين بهدف إشعال الفتنة الطائفية بين أبناء الشعب العراقي وإضعاف العراق وتخريبه لإنهائه كدولة، وأنه أبلغ رئيس الحكومة العراقية نوري المالكي بتورط طهران في الهجوم الذي استهدف مرقدي الإمامين العسكريين.

لكنّ مسؤولا أمنياً عراقيا رفيع المستوى طلب عدم الكشف عن هويته أكد لصحيفة «الشرق الأوسط» أنّ الثابت لديهم أن تنظيم القاعدة هو الذي قام بتنفيذ هذه الجريمة التي أدت إلى إشعال الفتنة الطائفية في البلاد للسنوات ٢٠٠٦ – ٢٠٠٨، وأضاف المسؤول الأمني أن من نفذ العملية تمَّ اعتقاله، وقد اعترفت المجموعة التي ينتمي إليها بكاملها، وهي نفسها التي اغتالت الصحافية العراقية أطوار بهجت في اليوم التالي، واستغرب المسؤول من شهادة كيسي الآن ولماذا لم يعلن ذلك في وقته! وكذا نفت السفارة الإيرانية في العراق حدوث ذلك.

هذا الخبر المثير أثار قراءات عدة لابد أن نقف عندها:

إنّ الحُذاق من أهل السنة في العراق وخارجه تنبهوا إلى تورط الشيعة وإيران بذلك التفجير، وكتبوا ذلك، فقد كتب الشيخ حامد العلي (من الكويت) مقالا بعنوان (سبعة أدلة على تورط إيران بتفجيرات سامراء) وكثيرا من العراقيين تنبهوا لذلك كان على رأسهم الصحفية أطوار بهجت رحمها الله، والتي كشفت هذا ميدانيا، فقتلتها نفس اليد المنفذة للتفجير؛ ولأنه في علم الجريمة ابحث دائما عن المستفيد من الحدث، فإيران والميلشيات الشيعية هم المستفيد الأول من الحدث، والسنة هم المتضررون الأوائل منه. لكن الجديد في الحدث أن الساكت أو المشارك بالجريمة (أمريكا) هي من تعترف بذلك والاعتراف سيد الأدلة، وفي هذا شهادة مصداقية لتحليلات كل الشرفاء من أهل السنة.

بل إن هناك تفاصيل دقيقة عن تلك الجريمة عرفها أهل السنة منها: أن الذي أدار عملية التفجير

(*) كاتب عراقي.

هو شخص إيراني يدعى (منصور حقيقة بور) وهو من أخطر قادة ما يسمى بالحرس الثوري الإيراني بالعراق وقد ظهر اسمه بعد حادثة تفجير سامراء حيث نسبت له واستنادا إلى مصادر موثوقة في النجف عملية تخطيط وتنفيذ تفجير مرقدي الإمامين في سامراء، حيث كان يعتمد على نخبة من رجال الميليشيات بعد اجتماع حضره قيادات من فيلق بدر وجيش المهدي ممثلين لأكثر من ٣٢ ميليشيا.

صمت الحكومة العراقية (المالكي) وكذا آياتهم ومراجعهم

وكالعادة يمارس الشيعة تكذيب الخبر بحجج واهية فقد وصف نائب من ائتلاف دولة القانون الذي يرأسه المالكي تصريحات جورج كيسي بالكذب معللا أنّ ولاء الإيرانيين لأهل البيت (قد يصل إلى حد الإلحاد). وقال القيادي في الائتلاف خالد الأسدي في تصريح صحفي له: إنه يستحيل أن يفعلوا ذلك وأضاف الأسدي أن (القضاء العراقي قال قولته بحق من أدينوا بهذا العمل، والشيء المهم هو أن العداء الأمريكي – الإيراني ينبغي أن يكون بعيدا عن الساحة العراقية). وتابع الاسدي قوله (نحن غير معنيين بهذه المعلومات كون هناك قضاء يحكم بهكذا مسائل، وما أُعلن لا يتعدى محاولة لخلط الأوراق). بينما استبعد مقتدى الصدر أن تكون إيران وراء الجريمة، قائلا: (لا أرى من داع بأن تكون الجمهورية الإسلامية (الإيرانية) شماعة تعلق أمريكا أفعالها المشينة عليها)، وأضاف مدافعاً عن إيران ومستبعدا ضلوعها بالتفجير فقال: (لا يدل قول كيسي الفاسق إلا على فشل أمريكا في إدارة العراق أثناء احتلاله البغيض).

لكن جورج كيسي أشار إلى دليله وهو بقايا المتفجرات الإيرانية، أما الشيعة فلم يقولوا سوى أن هذا الفعل لا يمكن أن تعمله إيران!!

ولو أنهم طالبوا بتحقيق جديد لأنصفوا لكن أنّى لهم الإنصاف وهم جراب الكذب.

إن الاتهامات وزعت منذ اللحظات الأولى للحدث، فصرّح وزير الداخلية صولاغ جبر أنّ عشرين شخصاً وراء هذه العملية التي استغرق إعدادها عشر ساعات، وسارعت الحكومة باتهام القاعدة؛ وهو أمر تماهى مع رؤية الأمريكان وقتها، وأصبح فيما بعد اتهام السنة والقاعدة عرفا جاريا وتهمة جاهزة للسنة جميعا، فهم من يفجر ويقتل ويهجر، ولهم تم تفصيل قانون ٤ إرهاب.

تنظيم القاعدة في وقتها أنكر تبني العملية وهو من عادته عدم إنكار مثل هذه التفجيرات بل يفتخر بها، واتهم عبدالله الجبوري نائب محافظ صلاح الدين في تصريح إلى صحيفة «الحياة» الاستخبارات الإيرانية بالضلوع في تفجيرات سامراء، وأشار إلى أن (عثور قوات الأمن المحلية على أدلة تؤكد ارتباط مسلحي «القاعدة» في سامراء بهذه الاستخبارات، وقال:)سبق أن ضبطنا وثائق وأسلحة إيرانية ومبالغ نقدية إيرانية في أوكار هذه الجماعات(، مؤكداً وجود اتصالات ولقاءات بين قيادات القاعدة وضباط إيرانيين داخل العراق وخارجه. وهذا يؤكد الرأي أن القاعدة في العراق هي قاعدات وليس قاعدة واحدة. فقسم يعمل لأهدافه وآخر مرتبط بإيران وقيل هناك قسم مرتبط بأمريكا.

يزعم الشيعة أن علاقتهم بقبور الأئمة علاقة مقدسة عند عوامهم ونخبهم، ويتخذون من الاعتداء عليها ذريعة للهجوم على السنة، فقد هاجموا السلفيين يوم أن هدمت القباب على قبور الصحابة في البقيع، أما هذه الحادثة فقد كشفت أنه ليس هناك شيء مقدس أو محترم عند الشيعة حتى ولو كان المهدي المنتظر، فهم بهذا العمل المشترك بين شيعة إيران والعراق فجّروا أضرحة ثلاثة من أئمتهم فهل يعي عوام الشيعة ذلك!

وهو ذات الفعل الذي فعله اليهود من قبل إذ قتلوا بتفجيرات في بغداد في الأربعينيات من القرن العشرين بعض اليهود حتى يَحملونهم على ترك العراق والهجرة إلى أرض فلسطين قبل تأسيس

دولتهم سنة ١٩٤٨م.

ومـن يفعـل هـكـذا بمقدسـاته وقبـور أئمتـه فمِـن بـاب أولى أن يقتـل عـوامهم ويفجـر منـاطق سـكناهم وأسـواقهم!! وهـذا مـا يفعلونـه اليـوم يفجـرون منـاطق السـنة ومنـاطق الـشيعة لخلـق الفـتن مـن جديـد، والغـاية مـن كـل ذلـك هـو تهيـيج عـوام الـشيعة ضـد أهـل السـنة، وصـدق علـي بـن أبـي طالـب رضـي الله عنـه حين وصف شيعته أنهم (أتباع كل ناعق).

لابـد مـن التـذكير أن هـذه الحادثـة هـي الـتي أبـرزت جـيش المهـدي علـى السـاحة العراقيـة ضـد أهـل السـنة قـتلا وذبحـا وتـشريدا بـشكل واضـح، بعـد أن ظـل جـيش المهـدي في الظـاهر بعيـدا عـن مواجهـة أهـل السـنة، وكـان وقتهـا ضـعيف التـسليح إلا مـن الـسلاح الفـردي الخـاص، إذْ أن إيـران رفـضت أن تعطيـه شـيئا حتـى يـذعن لهـا، فكانـت الفرصـة قبيـل تفجـير سـامراء حيـث تم الاتفـاق بينهمـا؛ فقـد أخـذت بعـض ميليـشيات جـيش المهـدي ونزعـت سـيطرة مقتـدى عليهـا، وأخـذت هـذه الميليـشيات تتوسـع مدعومـة مـن الدولـة وأحـزاب شـيعية أخـرى وإيـران حتـى أضـحت قـادرة علـى كـسب المقـاتلين الـشيعة لهـا؛ مُـستفيدة مـن تـسهيلات قـدمتها أجهـزة الدولـة الأمنيـة، واليـوم يحـاول زعـماء التـيار الـصدري و(مقتـدى الـصدر) اتهـام هـذه الميليـشيات بالاشـتراك في الحـرب الطائفيـة ضـد أهـل السـنة! منهـا عـصائب أهـل الحـق وغيرهـا مـن الفـصائل الـتي انفـصلت اليـوم عـن مقتـدى الـصدر انفـصالا تامـاً، بـل وقاتلـت أتباعـه وحاولـت اغتيـال بعضهم.

المطلـوب مـن أهـل السـنة أن لا تمـر هـذه الحادثـة بـسلام كخـبر عـابر، بـل يجـب الوقـوف عنـدها والتعامـل معهـا بجديـة، وحـسناً فعـل الـبعض مـن المطالبـة بطـرد الـسفير الإيرانـي مـن العـراق، ومقاطعـة البـضائع الإيرانيـة، وطالـب خطيـب جمعـة الرمـادي الـشيخ صـباح العـاني في خطبتـه بـمحاكمة الحكومـة الإيرانيـة دوليـا، وبـتدخل أممـي لوقـف انتهاكـات إيـران وتدخلـها في شـئون العـراق والـدول المجاورة.

والمطلـوب فعـل أكثـر وأكـبر إعلاميـا؛ والاسـتمرار في اتهـام إيـران وطلـب مواقـف مـن المـسؤولين العـرب وغيرهـم تجـاه هـذه التـصريحات، بـل إحـراج الجانـب الأمريكـي أكثر، على الأقل إعلاميا.

شبهات عملاء التشيع

سعيد بن حازم السويدي(*) – خاص بالراصد

لعلهـا أصـبحت ظـاهرة ملحوظـة للمتـابعين والمراقبين أنـه كلمـا تعـرض التـشيع لأزمـة نتيجـة لـصدامه مـع الوسـط الإسـلامي الـسني، خـرج مـن بـين الـسنة مـن يـسعى لإنقـاذ سمعـة التـشيع والـدفاع عنـه وتـشويه الحقـائق الظـاهرة عـبر بـث جملـة مـن الآراء والافتراضـات الـتي تـدرأ عـن التـشيع صـفة الفتنـة والفـساد والقتـل، وبـل وتجعـل منـه عنـصراً أساسـياً لحـصول الاجتمـاع الإسـلامي والتوافـق الـداخلي لمواجهة العدو الخارجي والنهضة بالأمة المستضعفة!

واليـوم تخـوض الأمـة فـصلاً جديـداً مـن فـصول الـصراع مـع التـشيع علـى أرض الـشام، وكالعـادة فقـد بـرز المـدافعون الـسنة بـأقلامهم وألـسنتهم محـاولين الإبقاء على هذا المذهب حياً وإنعاشه قدر المستطاع.

وقـد رأينـا أن مـدار هـذه الحمـلات الدفاعيـة علـى الـشبهات والـدعاوى الركيكـة حيـث يتـذرع بهـا أصـحابها للـدفاع عـن مـصالح موهمـة مـن جهـة وللمـشاركة في نـصرة التـشيع مـن جهـة أخـرى فهـم لا يظهـرون إلى الـساحة بهـذه المقـالات والآراء إلا في مراحـل دفـاع الـسنة عـن أنفـسهم مـن أخطـار التـشيع الطـائفي، أمـا في أيـام التمـادي والطغيـان الـشيعي فـلا يُسمع لهم همساً!

١- التطـرف لا يمثـل الأغلبيـة الـشيعية الصامتة

ومـن ذلـك قـولهم: إن حـزب الله لا يمثـل الطائفـة

(*) كاتب عراقي.

الشيعية في لبنان رغم أنه كان يمثلها أيام المقاومة!! أو القول بأن هناك تياراً في المقاومة يرفض الدخول في معركة سوريا!

وهذا من الكذب المعلوم البيّن، فقوة الميليشيات مستمدة من دعم الطائفة، لأنها لم تتشكل إلا للدفاع ولحماية الكيان والهوية الطائفية، فالسلوك العدواني لميليشيات الطوائف (العلوية والشيعية والمسيحية) يعتبر سلوكاً طبيعياً ضروريا بالنسبة لها فهو دفاع عن الوجود والبقاء.

كما أن هذا الافتراض الذي يكذبه الواقع لم يستند إلى وقائع ومعطيات تشهد له وتؤيده، وتصدق زعمه بأن الطائفة الشيعية لا ترضى بالعمل الطائفي، فالعكس هو الصحيح، فلولا الأقليات لما وُجدت المليشيات.

٢- تفريق صف الأمة

كقولهم إن الأزمة السورية عمّقت الشرخ الطائفي وأن على العقلاء تدارك الأمر، وهذه شبهة داحضة استخدمها المشركون ضد الأنبياء، ورموهم بالإحداث والابتداع والإتيان بما لا يُعرف مما يفرق الجماعة ويخلخل الصفوف.

والصواب أن يقال: إنها محنة لتمييز الحق عن الباطل، وتنقية الأمة وتطهيرها من شرور المعتقدات الباطلة والأهواء الفاسدة والمذاهب المنحرفة.

كما أن الأقليات – وفي مقدمتها الأقلية الشيعية – هي السبب الرئيس في اختلاق المشاكل والأزمات والحروب الداخلية، ولولا أطماعها وعدوانها على محيطها الإسلامي السني لما عرفت الأمة هذا النوع من الصراعات.

فسبب التفرق ومادة الاختلاف تكمن في الأقليات التي شذت بأفكارها وسلوكها عن مجتمعها فسارت باتجاه معاكس لمسار الأمة فاضطررنا لمواجهتها دفعاً للعدوان وحفظاً للدين والكيان والهوية.

٣- التحذير من تقسيم البلدان، وتكوين دويلات وكيانات طائفية

وقد كثر الحديث حول هذا الوهم المسمى «خطر وشبح التقسيم» بعد احتلال العراق وصعود الشيعة، وتجدد ثانية بعد الثورة السورية، لذا لابد من توضيح لحقيقة ما يثار من مخاوف وهواجس لا أساس لها:

- إن مشروع التقسيم لا يسعى إليه إلا الأقليات، كضمانة لأمنها وحفظاً لهويتها ومستقبل أبنائها، أما السُني فلا يشعر بالغربة في وطنه ولا تدفعه أي حاجة للاستقلال والانفصال، وتاريخنا المعاصر شاهد على هذه الحقيقة، فلم تنشأ الدويلات ولم يظهر التقسيم إلا حفظاً لمصالح الأقليات الدينية، كاليهود في فلسطين، والموارنة في لبنان، و الدروز في جنوب سوريا، والعلويين في الساحل، وكذلك شيعة العراق فإنهم طالبوا بالفدرالية في البداية وأدرجوا ذلك في دستور عام ٢٠٠٥، فلما أحكموا قبضتهم واستقام لهم الأمر، منعوا السنة من نيل شيء من حقوقهم عبر المطالبة بالإقليم!

- إن التقسيم لا يمكن أن يأتي بمجرد الاقتتال والنزاع الأهلي، ولابد من قوة خارجية تفرضه وتدعمه وتضمن بقاءه كما فعل الفرنسيون في لبنان وسوريا، فلا يمكن لأي مليشيا أو تنظيم مسلّح أن ينعزل بإقليم أو مساحة من الأرض ويقيم عليه دولته ونظامه ما لم يحصل على دعم خارجي (سياسي وعسكري) وهذا غير مُتاح إلا للأقليات.

- إن موضوع التقسيم لم تقم أي أدلة مادية معتبرة تدعم المخاوف المحذرة منه، ولم يعد إلا مجرد هواجس وأوهام وتضخيم لمؤامرات لا يُعلم حقيقتها أو مصدرها جرياً على عادة الشرقيين في المبالغة والتهويل.

- إن التحذير من التقسيم أصبح يخدم إيران وشيعتها لأنهم باتوا يسيطرون على معظم المنطقة سيطرة مباشرة وغير مباشرة، فأي انفصال وتمرد على الوضع الراهن يعني تهديد النفوذ الإيراني، فالدعوة إلى الوحدة والتماسك والتلاحم تحت الوضع الراهن يرسخ الخطر الإيراني المتعاظم وهيمنته.

فتحذير السنة من التقسيم يعني مساومتهم على دينهم وأمنهم وكرامتهم على النحو التالي: إما القبول بالهيمنة الإيرانية أو الانزلاق إلى الحرب الأهلية والتقسيم، فمفردة «التحذير من التقسيم» أصبحت بمثابة التحذير من أي تمرد ومقاومة للتوسع الشيعي والهيمنة الإيرانية.

٤- التفريق بين الديني والسياسي

كالقول بأن الصراع في سوريا مجرد صراع سياسي ليس له أبعاد دينية طائفية، وبهذا يتبرأ المذهب وأتباعه من تهمة الفتنة وينحصر الاتهام في نفر محدود ممن طوعوا المذهب لخدمة أطماعهم!

إن السلوك السياسي عند الشيعة (والأقليات) قائم على العقيدة ومستمد منها لأنها عنصر البقاء والاستمرار المادي والسياسي وليس الروحي الكهنوتي فقط، لا فرق في ذلك بين العلمانيين والمتدينين، بل إن علمانيي الأقليات أمثال (كنعان مكية، أحمد الجلبي، حسن العلوي، نبيه بري، العلويين البعثيين) أنشط في خدمة طوائفهم من رجال الدين.

فالدين في خدمة السياسة، والسياسة في خدمة الدين، ولا يمكننا أن تصور أقلية في عالمنا العربي لا تحمل أجندة سياسية طائفية أو مليشيا مسلحة، كما لا يمكننا تخيل سياسة للأقليات منعتقة من العُقد والهواجس الطائفية.

٥- التفريق بين المعتدل والمتطرف

اللجوء لمقولة إن الشيعة (أو أي أقلية أخرى) ليسوا على منهج وطريقة واحدة، وليس من الإنصاف تجاهل المعتدلين وأخذهم بجريرة المتطرفين.

وفي حالتنا اليوم مع الشيعة فإن هذا افتراض وزعم تكذبه الحقائق والشواهد التاريخية والسياسية المعاصرة، بل الواقع يقرر: أن الاعتدال الشيعي أخطر من التطرف، لأنه يوفر البيئة المناسبة لعمله، ويحميه ويدافع عنه، ويحافظ على استمرار نشاطه العدواني مع وقاية سمعة المذهب من التُهم.

فكل رموز التطرف في الجانب الشيعي أمثال: الخميني، حسن نصر الله، حافظ الأسد وابنه، التيار الصدري وميليشياته، مدعومة ومحمية من رموز الاعتدال: محمد حسين فضل الله، جواد الخالصي، موسى الصدر، محمد مهدي شمس الدين.

٦- استفادة الإسرائيلي من الصراع السني الشيعي

وهذه الشبهة المشتهرة على الألسنة عليها عدة ملاحظات:

- أن الصراع السني الشيعي سبق وجود إسرائيل وأي تهديد خارجي للأمة الإسلامية، لأنه صراع بين الحق والباطل، فهو يأتي ضمناً في سياق المواجهة والمعركة مع العدو الخارجي، وينبغي تشبيه الصراع السني الشيعي بحروب أبي بكر الصديق في جزيرة العرب، أو بإحباط محاولة الانقلاب على الإسلام (عقيدةً وفكراً وثقافةً وسياسةً).
- أن جبهة العداء للإسلام واسعة، والانشغال بقتال فئة معينة لا يعني موالاة فئة أخرى أو إسقاطها من حسابات المواجهة، وإنما هو عمل تقتضيه الحاجة والمصلحة وفقاً لأحكام الحرب والسياسة.
- إن العدو الخارجي (الغرب وإسرائيل) شديد الحاجة إلى الأقليات لأنها تنفذ سياسته دون الحاجة إلى شن الحروب وتحريك الجيوش، فضرب هذه الأقليات وتأديبها يعني ضربة مباشرة لمطامع القوى الكبرى، فهذه القوى تتلاعب وتحرك الأقليات لحاجتها للدعم.

٧- التحذير من الفتنة

والفتنة كما هو معلوم أشد وأكبر من القتل فإذا اقترنت الفتنة بالقتل فإنها تصبح الشر المحض الذي لا يتردد عاقل في وجوب دفعه ومقاومته.

وهذا هو حال الشيعة وسائر الأقليات، فإن فتنتهم متعددة الأوجه:

- فمجرد اعتقادهم والدعوة لمذهبهم فتنة تصد الناس عن الصراط المستقيم.

- كما أن توددهم إلى المسلمين والتقرب منهم تحت شتى الواجهات والمسميات والوسائل والأساليب يعد فتنة لضعاف العقول والدين من المسلمين، ممن يغتر بالظاهر ويغفل عن الدوافع والأسباب الكامنة وراء السلوك الحضاري الناعم.

- كما أن حربهم الفكرية ضد المبادئ والعقيدة الإسلامية فتنة.

- وحملهم للسلاح ضد للمسلمين فتنة.

والفتنة الحقيقة هي ترك المواجهة، والإعراض عنها بحجج واهية وشبه ضعيفة يلجأ إليها أصحابها لتبرير سلبيتهم وانكفائهم وجهلهم وعجزهم.

فالقتال في الإسلام شُرع لدفع الفتنة، وليس لإحداثها وإشعالها، والسعي في نشرها كما زعم كفار قريش بأن النبي ﷺ فتن الناس عن آلهتهم وملة آبائهم، وفرّق بين الابن وأبيه وحرضه على قتاله!

- إن مفردة (الفتنة) عند الشيعة وحلفائهم، كمفردة (الإرهاب) عند الأمريكان والغربيين، فهي وصفة مطورة لحرب إعلامية ضد أي مقاومة وصحوة سنية.

إخوان الجزائر واعترافات القرضاوي

بوزيدي يحيى(*) - خاص بالراصد

أثارت مواقف الشيخ يوسف القرضاوي من حزب الله، والشيعة عموما، الكثير من الجدل في السنوات الأخيرة، حيث بدأ التحول في مواقفه وآرائه من الشيعة وإيران منذ سنة ٢٠٠٨ عندما اتهم طهران بالوقوف وراء محاولات تشييع السنة في الدول العربية، وحينها لم تلتفت جلّ القيادات الإخوانية لكلامه، بل ذهب البعض منها لانتقاده في غمرة خطاب المقاومة والممانعة وبهرجته.

ولكن مواقفه الأخيرة - بعد تورط حزب الله في سوريا- جاءت مترافقة مع مواقف الكثير من الإخوان في عديد الدول العربية التي استنكرت تدخل الحزب في سوريا، خاصة بعد تأزم العلاقة بين حركة حماس وإيران وحزب الله، والتي شكلت وتشكل المحدد الرئيسي لمواقف الإخوان المسلمين من جل القضايا.

والسؤال الذي يطرح في هذا السياق هو عن انعكاسات المواقف الأخيرة للشيخ يوسف القرضاوي على تصورات الإخوان المسلمين في الجزائر لحزب الله وإيران؟، وهل ستدفعهم لإعادة النظر في موضوع التشيع خاصة؟

بعد القرضاوي

تعدّ مشاركة حزب الله في الحرب إلى جانب قوات الأسد، إضافة إلى الدعم الروسي والإيراني، سببا مباشرا حالَ دون سقوط نظامه. كما ساهمت في تأزم الأوضاع أكثر ومضاعفة معاناة الشعب السوري نظرا لحجم الجرائم التي ارتكبت بحقه بعد مرور أكثر من سنتين على ثورته، والتي راح ضحيتها أكثر من مائة ألف سوري، وهو رقم مرشح للارتفاع في ظل المعطيات الحالية والتي لا تؤشر لحسم قريب للحرب، فضلا عن الدمار الهائل الذي لحق بجلّ المدن السورية.

هذه المواقف كان من الطبيعي أن تُحدث تحولا في مواقف الشيخ يوسف القرضاوي ويصبح الحزب الذي كان يدافع وينافح عنه في وقت سابق حزب الشيطان وزعيمه نصر الطاغوت، والمقاومة كذبة والتقريب خدعة وأضحوكة.

وباعترافه أن «مشايخ السعودية كانوا أنضج منه وأبصر منه؛ لأنهم عرفوا الشيعة وتحديدا حزب الله على حقيقتهم» فإنه أعاد للأذهان موقف المرجعية الإخوانية ومواقف الكثير من الرموز الإخوانية التي وقفت في وجه الشيخ على غرار المرشد السابق لجماعة الإخوان المسلمين محمد مهدي عاكف والذي صرح باستعداده لإرسال

(*) كاتب جزائري.

عشرة آلاف متطوع لمساعدة حزب اللات خلال حرب لبنان عام ٢٠٠٦م! بينما سكت تماما عن مذابح المسلمين في العراق على يد الميليشيات الشيعية المجرمة. وغيره من القيادات مثل محمد سليم العوا، يوسف ندى، كمال الهلباوي، وغيرهم الكثير، الذين أصبحوا مطالَبين (ببيان اعتذار جماعي) للأمة عن مواقفهم السابقة[١]! وما دام أن القرضاوي أقر بخطئه، وأقر بأن علماء السعودية الكبار كانوا أنضج وأبصر، فما الذي ينتظره طلاب القرضاوي ومريدوه؟ لماذا لا يعتذرون عن شتائمهم، وحملاتهم الكاذبة؟ لماذا لا يعتذرون لكل من كان ذا بصيرة وتعقل[٢]؟

وانطلاقا من العلاقة الوطيدة بين الشيخ يوسف القرضاوي وإخوان الجزائر فإننا نطرح نفس السؤال عنهم وتحديدا حركة مجتمع السلم؟

بيان ومقاطعة

غني عن التذكير بمواقف الإخوان الجزائريين أو المغاربة التي كانت أكثر تحمسا وتلهفا للمشروع الإيراني (الإسلامي)، ممثلا خاصة في حزب الله الذي رفع لواء المقاومة ومنافحتهم عنه طيلة العقود الثلاثة المنصرمة. وفي المرحلة الممتدة بين بداية الثورات العربية والموقف الجديد للشيخ يوسف القرضاوي من حزب الله استمرت مواقف الإخوان المسلمين في تأييدها لإيران ووكيلها اللبناني وإن بشكل أقل تحمسا.

وبالنسبة لإخوان الجزائر فإننا لم نسجل في هذه الفترة ما يشي بتحول في نظرتهم لإيران، بل كانت القيادات الإخوانية، ومنها الجزائرية، جزءا من آليات المشروع الإيراني في شقه الإعلامي، الذي حاول الملالي الترويج له بالاستثمار في الثورات العربية وجعلها منتجا خمينيا، إذ شارك الرئيس السابق لحركة مجتمع السلم أبو جرة سلطاني في مؤتمر الصحوة الإسلامية الذي عقد في طهران بتاريخ: ١٧ و١٨ سبتمبر/ أيلول ٢٠١١ وحينها كال المدح لإيران والخميني ولم ينتبه لحقيقة الغرض من ذلك المؤتمر أو أنه تغافل عن ذلك، وكلا الأمرين يعكسان قصر النظر السياسي لزعيم (حمس) ولربما مرشدها الحالي[٣].

ولكن بعد تورط حزب الله في سورية بشكل مباشر خاصة في القصير بدأنا نشهد تحولا في مواقف إخوان الجزائر من حزب الله وإيران حيث أعلن رئيس حركة مجتمع السلم عبد الرزاق مقري عن رفض الحركة وإدانتها لتدخل حزب الله في سوريا ومشاركته في قمع الثورة، حيث أكد أن التدخل الأجنبي موجود بأشكال متعددة، ولكن التدخل المباشر والواضح البيّن هو تدخل حزب الله وإيران، والقتل الفظيع الممارس على الأطفال والنساء، ودعم النظام الظالم والمجرم[٤].

وعلى عكس الفترة السابقة التي كان يفاخر فيها إخوان الجزائر باستضافة قيادات حزب الله في مؤتمراتهم السياسية الكبرى والتي لم تكن تخلو من الترويج والإشادة بحزب الله، ومن خلاله الشيعة، دون أن يعي هؤلاء خطورة ذلك بل كانوا ينظرون إلى مَن يثيرونه بكثير من الاحتقار والاستهزاء وحتى التشكيك في نواياهم وإخلاصهم، واتهامهم بالعمالة للمشروع الصهيو-أمريكي[٥].

لكن المؤتمر الأخير لحركة مجتمع السلم الذي عقد في بداية شهر مايو/ أيار ٢٠١٣، ثم مؤتمر

---

(١) عمر خليفة راشد، اعتذر الشيخ القرضاوي فأين البقية؟! ٢٠١٣/٠٦/٠٣، على الرابط: http://omarblog.com/54.htm

(٢) طارق الحميد، تراجع الشيخ ماذا عن الشامتين؟ جريدة الشرق الأوسط، ٢٠١٣/٠٦/٠٢، العدد ١٢٦٠٥، على الرابط: http://www.aawsat.com/leader.asp?section=3&issueno=12605&article=730894

(٣) بوزيدي يحيى، الحركة الإسلامية الجزائرية وإيران: مراجعات أم تراجعات؟ مجلة الراصد، صفر ١٤٣٤ه، العدد ١١٦، على الرابط: http://alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=5980

(٤) عبد الرزاق مقري: ما يحدث في سوريا حرب عالمية بالوكالة، مجلة المجلة، ٢٠١٣/٠٦/٠١، على الرابط: http://www.majalla.com/arb/2013/06/article55245449

(٥) بوزيدي يحيى، إخوان الجزائر هل يلدغون من جحر التشيع مرتين؟ مجلة الراصد، ٢٠٠٩/٠٦/٢٧، العدد ٧٣، على الرابط: http://alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=4328

ذكرى وفاة الشيخ محفوظ نحناح رحمه الله الذي عقد في شهر جوان/ يونيو/ حزيران ٢٠١٣، لم توجه فيهما أي دعوة لحزب الله نظرا لمواقفه من سورية، التي استنكرتها حركة مجتمع السلم، وأصبح الحزب نتيجة لذلك عبئا على الحركات الإسلامية بسبب الإحراجات التي أوقعها فيها مع قواعدها والرأي العام عموما مثلما حصل في مؤتمر حركة النهضة التونسية في شهر أوت/ آب/ أغسطس ٢٠١٢، والبلبلة الكبيرة التي أحدثها حضور المعتقل اللبناني السابق في إسرائيل سمير القنطار عندما أشاد بالنظام السوري علانية مما تسبب في ردة فعل من الحاضرين كاد جراءها أن يلقى حتفه لولا تدخل قوات الأمن وتهريبه من الباب الخلفي.

بيّنة ومقاطعة

موقف الشيخ القرضاوي جاء بصياغة تحمل الكثير من المعاني التي لا تروق للسياسيين ولا يمكنهم الحديث بتلك الصراحة، فهو بخصوص مسألة إيران والشيعة أقر بعدم نضجه مقارنة بمشايخ الخليج، وأنه أخطأ خطأ جسيما وكبيرا، وأن الشيعة ضحكوا عليه، ومثل هذا التصريح إذا صدر من سياسي فإنه يعني نهايته، لذلك لم تكن بيانات إخوان الجزائر تحمل صيغة الاعتذار والإقرار بالخطأ على ما كانت تتبناه من مواقف سبق وأن حذرنا قبل سنوات أن تلدغ منها بشكل مستمر وتحديدا الدكتور عبد الرزاق مقري الذي كان يقلل من خطورة التشيع والشيعة ويستبعد طائفيتهم التي تبيّنت له الآن[1].

فخليفة أبو جرة سلطاني في رئاسة حركة مجتمع السلم توقف عند القول إن حزب الله أظهر وجهه الحقيقي القائم على الطائفية وإنه تابع لإيران ويستغل البعد المذهبي والطائفية ولا تهمه فلسطين والمنطقة العربية. وأصبحت الحركة تتحدث عن الإجرام البشع الذي يمارسه النظام السوري والتدخل الأجنبي السافر من قبل حزب الله اللبناني الذي ظهر على حقيقته الطائفية الإجرامية، وكذا من قبل إيران في ظل الصمت العربي والتواطؤ الدولي[2].

ولكن هل يكفي أن يصرّح رئيس (حمس) بإدانته تدخل حزب الله في سوريا؟، وهل يكفي أن لا توجه دعوات للحزب في مناسبات الحركة الرسمية؟

طبعا هذه المواقف على أهميتها غير كافية إطلاقا من الإخوان المسلمين خاصة وأنهم بمواقفهم تلك كانوا يروجون للتشيع ويدافعون ويناقحون عنه، أو بتعبير الشيخ يوسف القرضاوي كان الحزب وإيران يضحكون عليهم، والمؤسف أن ضحك إيران على هذه القيادات استمر حتى بُعيد اندلاع الثورات العربية عندما راحت طهران تسوّق لما سمته ثورات إسلامية تستلهم من الخميني وتوظف الإخوان في الترويج للفرية كما سبقت الإشارة.

والشيخ يوسف القرضاوي مرجعيتهم وعليهم إذاً أن يعلنوا بدورهم أنهم كانوا مخطئين في مواقفهم السابقة، وأنهم أساؤوا لغيرهم في ذلك، وما دام عبد الرزاق مقري المعروف بشجاعته ومواقفه الجريئة وثباته عليها أعلن اعتذار الحركة للشعب الجزائري عن أخطائها السابقة[3]، فإن عليه أيضا الاعتذار عن أخطاء الحركة على المستوى الديني العقدي المباشر أو على الأقل الأخطاء السياسية الخارجية وليس فقط الداخلية من باب الخطاب السياسي ومستلزماته بالرغم من أننا أمام حزب أو حركة إسلامية غايتها أسمى، والسياسة مجرد وسيلة لتلك الغاية وليست هدفا في حد ذاتها كما

(١) بوزيدي يحيى، إخوان الجزائر وجحر التشيع، مجلة الراصد، ٢٠١٠/٠١/١٦، العدد ٨٠، على الرابط:
http://alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=4136

(٢) رئيس الحركة د.مقري يستقبل وفدًا سوريًا، حمس نت، ٢٠١٣/٠٥/٢٧، على الرابط:
http://www.hmsalgeria.net/portal/plus/couvertures/3551.html

(٣) مقري يعتذر عن أخطاء «حمس»، جريدة الشروق الجزائرية، ٢٠١٣/٠٥/٢١، على الرابط:
http://www.echoroukonline.com/ara/articles/165383.html

تقول أدبياتها.

إذاً سواء من حيث الواجب الديني أو على الأقل الاعتبارات السياسية وحتى الشخصية يجب أن تردّ الحركة الإسلامية الصاع صاعين لإيران، وذلك من خلال التكفير عن أخطائها السابقة بتدارك ظاهرة التشيع التي باتت تنخر مجتمعنا ببطء شديد، فقد نستفيق بعد قرون على كانتونات شيعية تقوم بما يقوم به النصيرية اليوم في سوريا، والتاريخ لا يرحم وسيسجل أن الحركات الإسلامية أخطأت مرتين في هذا الموضوع:

- الأولى: عندما فتحت أبوابها للتشيع وفرشت له الطريق، وراحت تخوض معارك لأجله.
- الثانية: أنها ورغم إدراكها لحجم الخطأ الذي ارتكبته في حق أمتها ومجتمعها لم تحاول تدارك ذلك ولم تصلحه.

الخلاصة:

رغم الحالة شبه الميئوس منها من مواقف الإخوان المسلمين تجاه إيران عموما والتشيع خصوصا طيلة العقود السابقة، بل وحتى بُعيد نجاح الثورات العربية، إلا أن مواقف الشيخ يوسف القرضاوي الأخيرة واعترافه بالخطأ الكبير الذي اقترفه بتصديق الإيرانيين الذين كانوا يخدعونه أعادت الأمل لمراجعة الإخوان عموما والجزائريين خصوصا لنظرتهم لإيران، واهتمامهم بالبُعد العقدي في مشروعهم السياسي.

وأحاديث هؤلاء عن طائفية حزب الله وعمالته لإيران (والتي لا تستقيم مع شعار مقاومة إسرائيل) لا شك أنها متقدمة في هذا السياق، ولكنها في المقابل تبقى جد متأخرة إذ جاءت بعد سنتين عن الثورة السورية، وبعدما زهقت أرواح أكثر من مائة ألف سوري، وتدمير بلد يستحيل أن تحرر فلسطين من دونه.

بناءً على هذا ونظرا لحجم الكارثة التي حلّت بالشعب السوري وحجم تضحياته فإن مواقف الإخوان الجزائريين موضوع دراستنا تظل دون المستوى المطلوب، وتقتضي العمل الجاد للتكفير عن أخطائهم وتدارك مشكلة التشيع قبل أن تصبح في قادم الأيام قضية مجتمعية، ولربما تعيش المجتمعات المغاربية مآسي على غرار مأساة الشعب السوري اليوم، يكون سببها هذه البذرة الخبيثة التي نبتت في مجتمعاتنا.

وعلى هذا الأساس فالمطلوب ليس بيانا ومقاطعة وإنما بيّنة وقطيعة نهائية، وذلك ببذل جهود أكثر في محاربة الظاهرة كما كانت تفعل سابقا في السعي لترسيخ مشروع التقريب وتجسيده على أرض الواقع من خلال المؤسسات المختصة والمؤتمرات والندوات وكذا المؤلفات، وهو المشروع الذي أعلن راعيه نعيه.

وهناك مبادرات محلية في هذا السياق على مستوى فروع بعض مؤسسات الحركة، ولكنها مبادرات تكاد تكون فردية ومعزولة، في حين يفترض أن يكون هذا الموضوع أحد أهم الملفات في برنامج الحركة التي يمكنها من خلال ما تملكه من منابر سياسية وإعلامية ودعوية أن تقود حملة لمحاربة التشيع في الجزائر، وحتى في المنطقة المغاربية بالتنسيق مع الحركات الإسلامية في الدول المجاورة.

إذ يمكنها مثلا على المستوى الوطني تقديم مطالب سياسية من بينها وقف النشاطات الثقافية للسفارة الإيرانية التي تأكد قيامها بنشر التشيع في عديد الدول العربية كما ثبت مؤخرا في ليبيا وتونس، وهو الأمر الذي دفع المملكة المغربية لغلق السفارة بالكامل في وقت سابق. أو تقديم رسائل إدانة واحتجاج لها وللسفارة اللبنانية، وحتى للسفارة العراقية، وهنا تجدر الإشارة لمبادرة حركة النهضة التي عبرت عن رفضها لمسح ديون العراق بسبب سياسات حكومته الطائفية[1].

---

(١) الجزائر: حزب إسلامي يرفض مسح ديون العراق لـ«طائفيته»، العربية نت، ٢٠١٣/٠٦/٠٨، على الرابط:
http://www.alarabiya.net/ar/north-africa/2013/06/08/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2%D8%A7%D8%A6%D8%B1-%D8%AD%D8%B2%D8%A8-%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A-%D9%8A%D8%B1%D9%81%D8%B6-
=

كما أنه وبعيداً عن النشاطات السياسية يجب أن تلتفت الحركة للمخاطر التي تتهدد المجتمع الجزائري وتماسكه وبشكل خاص خطر التشيع وتصغي لتحذيرات ونداءات زعيمها الروحي الشيخ يوسف القرضاوي، وذلك بوضع برنامج ومخطط بعيد المدى لرصد الظاهرة وسبل مواجهتها، وقبل ذلك تحصين أبنائها من هذا الخطر، إذ يمكنها على سبيل المثال أن تفتح نافذة في الموقع الإلكتروني للحركة للتعريف بالشيعة ومعتقداتهم، وتجعله أحد محاور النضال الإلكتروني لشباب الحركة، وتخصص جزءاً من البرنامج الدراسي لأكاديمية جيل الترجيح لهذه القضية، وغير هذا من النشاطات التي من المفترض أن تكون مؤسسات الحركة أدرى بها.

جهود الشيخ المحدّث صبحي السامرائي رحمه الله في مقاومة التشيع في العراق

عبد العزيز بن صالح المحمود - وعبد الله بن عبد اللطيف الكرخي(*) - خاص بالراصد

فُجع العراقُ خاصةً والعالمُ الإسلامي عامةً في يوم ١٦ شعبان ١٤٣٤هـ (٢٥ حزيران ٢٠١٣) بوفاة محدث العراق ورافع راية السُنة الشيخ صبحي جاسم البدري السامرائي في بيروت وقد دفن بجوار الأستاذ الشيخ زهير الشاويش رحمه الله، بعد أن غادر بلده بغداد، شأنه شأن كثير من نخب أهل السنة والجماعة هرباً من طواغيت الشيعة، بعد أن أمضى ٨٠ سنة من عمره (٧٧ سنة ميلادية) خدمةً لحديث المصطفى ودفاعاً عن السنة الغرّاء، ومقاومة التشيع وفضحه وبيان خطره، ولا نُريد أن نَتكلّم عن حياة الشيخ فليس هذا محله، ولكن حسبنا أن نسلط الضوء على موقفه من الشيعة والتشيع وإيران.

هذا الرجل قال عنه العلامة ابن باز عليه الرحمة والرضوان: (هو من بقايا أهل الحديث في العراق) وصدق الشيخ فقد ندر هذا العلم في بلد الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

جاء في مقال (جهود المحدّث حمدي عبد المجيد السلّفي في مقاومة التشيع في العراق)[1]



أنه «اشتهر رجلان فيه - العراق- بهذا العلم هما: الشيخ صبحي السامرائي والشيخ حمدي عبد المجيد السلفي، وكلاهما يملك من معرفة التشيع ومقاومته الكثير؛ لأنّ أهل الحديث امتداد لأهل السُنة والجماعة، وهم من أعرف الناس بالتشيع»، لكنّ بُعد الشيخ حمدي عن عاصمة العراق وعيشه

%D9%85%D8%B3%D8%AD-%D8%AF%D9%8A%D9%88%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D9%82-%D9%84%D9%80%D8%B7%D8%A7%D8%A6%D9%81%D9%8A%D8%AA%D9%87-.html

(*) كاتبان عراقيان.

(١) لعبد العزيز بن صالح المحمود، الراصد العدد ١١٤.

بعيدا عن المركز وشخصيته الكردية القوية جعلته يصدع ضد التشيع، أما الشيخ صبحي السامرائي فكانت الضغوط عليه كبيرة من قبل البعثيين وسياسة الحكومات العراقية بالتهادن الفكري مع الفكر المنحرف الشيعي والشعوبي، مما حرمنا من جهود كثيرة للتعريف بالتشيع ومخاطره على المجتمع العراقي، لكن هذه المعارف التي يملكها الشيخ صبحي عن التشيع لم تبقَ طيَّ الكتمان، بل نشرها هنا وهناك في مجالسه ودروسه حتى غدت ثقافةً لدى جميع طلبته ومن يحاضر بهم، ومردُّ هذه الثقافة عدة أمور، منها:

أن الشيخ صبحي من تلامذة شيخ العراق ومحدثها الشيخ عبد الكريم الصاعقة، وهيبة الشيخ وجلالته وصلابته على الشيعة والمبتدعة معروفة عند جميع البغداديين.

أن الشيخ كان كثير المجالسة للشيخ كمال الدين الطائي معتمد جمعية الآداب، والشيخ الطائي من المعروفين أنه من أشد المتيقظين لخطر الشيعة وخبثهم، يقول الأستاذ كاظم المشايخي رحمه الله: (تهجّم النائب الشيعي عبد الرزاق الظاهر على مدير الأوقاف العامة وغمز علماء السنة، فثارت ثائرتهم وقدّموا مذكرة احتجاج فأرسل النائب عبد الرزاق الظاهر رسالة إلى الشيخ أمجد الزهاوي (مفتي بغداد) يعتذر ويدعي أنه لم يقصد بكلامه الإساءة إلى أحد كما أنه لم يقصد التهجم على أحد، فقال الشيخ أمجد: لقد اعتذر ولم يَبقَ موجب للكلام! لكنّ الشيخ كمال الدين الطائي لم يقبل هذا الاعتذار، لعلمه بتقيّة الشيعة)[1].

هذه المعارف عند الشيخ لم تكن من هذين العلمين وحسب، بل إنّ الشيخ تبنى قضية بيان خطر التشيع وإيران والشعوبية، أكثر منهما وساهم عملياً بذلك، فمن يعرف الشيخ عن كثب يعرف جهوده في هذا الميدان منذ الستينات يوم كان الشيخ في بداية عطائه العلمي بعد وفاة الشيخ الصاعقة وتأسيس الدعوة السلفية على يد تلامذة الشيخ عبد الكريم الصاعقة وتلاميذ تلامذته، وكان عند بعضهم رغبة بتأسيس تنظيم سلفي، وآخرون آثروا التوسع الأفقي الدعوي، كان منهم الشيخ صبحي السامرائي، وكان معه الداعية المخضرم عبد الحميد نادر، وكانت الدعوة السلفية في العراق منقسمة إلى قسمين:

الأول: نشاط دعوي منظم غير حزبي عرف باسم جماعة الموحدين. وهؤلاء لم يهتموا كثيرا بالشأن الشيعي والإيراني.

الثاني: نشاط دعوي رفض العمل الجماعي وبقي يعمل بشكل فردي؛ منهم عبد الحميد نادر، والشيخ عدنان الأمين القحطاني، والشيخ نوري أحمد القاسم التميمي، والمحدّث الشيخ صبحي السامرائي، وهم من اهتمَّ بالتشيّع أكثر من غيرهم من السلفيين.

كان الشيخ صبحي مهتماً في مجالسه في جامع الآصفية بالحديث وتدريسه، وفي غيره من المساجد، وكذا في السفر خارج القطر بالبحث عن المخطوطات في مكتبات العالم، علماً بأن الشيخ كان ممن التحق بكلية الشرطة منذ شبابه سنة ١٩٥١م إلى إن تقاعد سنة ١٩٧٧م وهو برتبة عقيد، وقد أخذ دوره تدريجياً في بث علمه، وتميز الشيخ بمعرفته بمعالم بغداد والأنساب، فقد كان عضوا فاعلا في نقابة السادة الأشراف الهاشميين في العراق والعالم الإسلامي، كما أنه تابع مؤلفات الشيعة النادرة في وقتها كالكافي للكليني، ومؤلفات الطوسي وابن بابويه القمي وملا باقر المجلسي وغيرها، مما جعل الشيخَ ومكتبتَه العامرةَ قبلةً للباحثين والدارسين لأحوال الفرق المنحرفة كالشيعة وأضرابهم.

(١) الشيخ أمجد محمد سعيد الزهاوي عالم العالم الإسلامي /كاظم المشايخي /ص ٢٠٦ /ط ٢ /٢٠٠٣م.

وممن كان يزور الشيخ في منزله: الأستاذ إحسان إلهي ظهير رحمه الله، وقد أخبر الشيخ بعض تلامذته ممن كان يدرس عنده في بيته قائلاً: تعرف! كان الأستاذ إحسان إلهي ظهير يجلس على موضع جلوسك في الأريكة هذه لساعاتٍ يطالع ما شاء من كتب الشيعة في مكتبتي، وربما باتَ عندي، فآتيه لأوقظه لصلاة الفجر، فإذا هو على هيئته يقرأ ويكتب ويقيد ما يطالعه من كتب القوم، من غير ملل ولا كلل.

لقد كان الشيخ عارفاً بأعلام الشيعة ومثقفيهم، ويرقبهم عن كثب، ويعرف ألاعيبهم وحيَلهم، وكيف يستعملون التقية في الكذب وتحريف الأماكن والاستحواذ على أموال الناس بالباطل.

فقد عرف الشيخ أنساب هؤلاء وكيف ادّعوا زورا وبهتانا أنهم من أهل البيت، فقد كشف حقيقة نسب محسن الحكيم، بواسطة علاقاته مع ضباط الجنسية العراقية وكان فيهم ضابط من مدينة سامراء فضح له حقيقة هؤلاء وأنهم من عائلة من بلغاريا وأن جدهم عمل بالطب (الحكيم) وأسلموا وتشيعوا في إيران وقدموا للعراق وسُموا بآل الحكيم زورا نسبة إلى عائلة الحكيم الشيعية المعروفة.

كما كان يشير إلى كثير من القبور المفتعلة للشيعة كالخلاني (السفير الثاني للمهدي عند الشيعة) وهو في الحقيقة قبر الإمام شيخ الحنابلة عبد العزيز غلام الخلال الحنبلي (ت: ٣٦٣هـ) في مقبرة الخلالة (مقبرة الفيل)، وفي الخمسينات أخذه الشيعة[1]. وقد حاول الشيخ كثيراً استردادَ هذا المسجد المغتصَب إلى حاضنته السُنّية، لكن الموقف الحكومي آنذاك لم يكن مؤيداً لهذا التوجّه.

وكان يشير إلى فساد كثير من القبور المنسوبة إلى علماء الشيعة، وأنها غير صحيحة.

كما كان يشير مرارا إلى قبر تزوره الشيعة افتُعل في نهاية السبعينات واشتهر في الثمانينات في بغداد الرصافة قرب مستشفى الجملة العصبية يدعى (حمد الله) وكان سَمّاكاً ثم أصبح الشيعة يزورون قبره زرافات وجماعات، والشيخ يحدثنا عن هذا الرجل أنه كان يبيع السمك ولا يصلي، وأن قبره كان مكانا للزناة، ويتعجّب كيف تحول هذا المكان إلى موقع يزوره الشيعة!

ومن ذلك أيضاً تهكّمُه على دعوى أن قبر الكليني مجهول لأنه مات ولم يُعرَفْ مكانُ دفنِه، فكان يقول: كيف يجدون له قبراً وقد دخل بغداد بلباس يشبه لباس العلماء فجلس إليه الناس فرأوا منه سباً وشتماً وقذفاً لأم المؤمنين، فما كان من الحنابلة إلا أن أخرجوه من المسجد ركلاً بالأقدام والأحذية حتى الموت، ثم قذفوه على مزبلة من مزابل نهر دجلة، فكان الشيخ رحمه الله يطلق عليه لقب: «شهيد النِّعل!!» وما أشبه اليوم بالبارحة!

ومما يذكره الشيخ السامرائي عن الشيخ كمال الدين الطائي أن المرجع الشيعي محمد باقر الصدر كان يأتي في شبابه لدعوة السنة للتقريب في مسجد المرادية، وكانوا يطلبون منه - إن كان صادقا- أن يزوجهم أخته متعة، فيرفض ويغادر المحل هاربا، ويقول الشيخ كمال الطائي انظر، كيف أن علماء الشيعة يرضون للعامة من الشيعة ما لا يرضونه على عوائلهم وبناتهم.

وتلامذة الشيخ ومن يجالسه كانوا هم من يعرف مؤلفات محب الدين الخطيب في العراق؛ كالخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين

(١) يؤيد هذا أن الدكتور أحمد سوسة في خريطته عن بغداد يكتب قبر الخلال، وليس الخلاني، وكذا المؤرخ الدكتور مصطفى جواد، وغيرهما من الخططيين والمؤرخين.

الشيعة الإمامية الإثني عشرية، والعواصم من القواصم لابن العربي المالكي، ومختصر التحفة الإثني عشرية لمحمود الألوسي، وجهود الأستاذ محمود الملاح في التصدي للتشيع، وكان كثيراً ما يوصي تلاميذه بقراءة كتاب منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ويثني عليه ويديم النظر فيه، إضافة إلى نقده لبعض الكتب الهزيلة في نقد الشيعة ككتاب الصواعق المحرقة، فقد ذكر بعضُ طلابه أنه سمعه يقول: هذا كتاب سيء، أراد مؤلفه أن يُحرقهم فأحرقنا! أسأل اللّه تعالى أن يجعلني أقف حجيجاً له لكثرة ما احتجَّ به من الأحاديث المنكرة والموضوعة.

وكان طلاب الشيخ ينقلون عشرات الأشياء والمعلومات النادرة عن واقع الشيعة في العراق.

الشيخ صبحي كان صاحب مكتبة كبيرة بالمخطوطات الحديثية، ولكنه استطاع أن يصور أكثر المؤلفات المخطوطة في المكتبات العراقية حول الشيعة ويشير لها، ويعطيها لمن يريد تحقيقها، ونشرها، وهو الذي أرشد الشيخ حمدي لهذه المخطوطات لينشرها فيما بعد تحت عنوان (رسائل في الرد على الرافضة) سنة ١٩٩٧م في كردستان العراق.

وكان يحدثنا عن كتاب إبراهيم فصيح الحيدري (عنوان المجد في أخبار بغداد والبصرة ونجد) ويقول إن فيه تاريخ تشيع العشائر العراقية في الجنوب.

ونتيجة لسطوة حزب البعث بعد ثورته سنة ١٩٦٨م وتشديدهم على العلماء، قللت هذه الظروف من نشاط الشيخ صبحي، تجاه الشيعة إذ أن هذه الثورات والتوجهات القومية أغبى ما تكون في فهم التشيع وخطره بل كانت حربا على الدين وأهله ومنع الشيخ من مزاولة أي نشاط كما أخبر بعض الفضلاء بذلك، واكتفى الشيخ بجلسات في جامع المرادية مساء، مع خواصه وتلامذته، ولم يتنفس الشيخ الصعداء إلا عندما ذهب إلى السعودية في بداية الثمانينات كمدرس في الحرم وكمحاضر في جامعة الإمام محمد بن سعود في علم المخطوطات والمكتبات وأصوله، وكذا حاضر في جامعة الملك عبد العزيز، وهناك ألقى أشهر محاضراته في علم الحديث عند الشيعة.

ومن الطرائف أن الشيخ يذكر أنه عند سفره وجد رجلا ممسوسا فقام برقيته واكتشف أن الجني الذي تلبسه كان شيعيا رافضيا عراقيا من مدينة شيعية معروفة وقال له: (ما الذي أتى بك إلى هنا؟) أو كما قال.

عاد الشيخ إلى العراق في الثمانينات وعُيّن في جامع ١٢ ربيع الأول في جانب الرصافة في حي المهندسين بشارع فلسطين، وهناك كانت جلساته الحديثية ودروسه التي خرج منها تلامذته (الطبقة الثانية)، وهناك كذلك عرف من جالسه كيف كانت حميته على السنة وبغضه للرافضة؛ فما أن يذكر الرافضة حتى يترك درس الحديث بالكلية ويستمر الحديث على الرافضة بفورة وغضب، والشيخ مطّلع على أسرار الشيعة في العراق وخارجه فعندما صدر للتونسي المتشيع محمد التجاني السماوي كتاب (ثم اهتديت) وغيرها وذُكرت للشيخ صبحي، تابع الشيخ الموضوع ثم ذكر أن هذه الكتب لم يؤلفها هذا التونسي الدعيّ بل أُلفت له في إيران من قبل (الأوخندية) على حد تعبير الشيخ صبحي؛ وتعني هذه الكلمة (الملالي) في الفارسي.

إن جهود الشيخ في تعريف الشباب بخبث التشيع شيء غير خاف ولا ينسى.

كما لا يفوتنا أن نذكر أن الشيخ درّس في جامعة العلوم الإسلامية (جامعة صدام) وفي كلية الشريعة بجامعة بغداد، وكان يصدع

هناك بذم التشيع، نقل ذلك عدد من طلابه الذين درسوا على يده في الجامعة.

كما أن الشيخ لم يكن يكتب عن التشيع شيئا وسببه الخوف من السلطة الغاشمة في العراق وسطوتها إلا ما كان في تحقيقه لكتاب (أحوال الرجال) لأبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب الجُوزجاني وفيه مقدمة في إثبات عدم نسبة النصب إلى المؤلف رحمه الله، وذكر حاشية مهمة في اعتراف الشيعة ومنهم الكشي في كتابه (الرجال (بوجود عبد الله بن سبأ؛ لأنه بدأت تظهر مؤلفات شيعية واستشراقية تنكر أن يكون عبد الله بن سبأ موجودا.

واستمر هذا الأمر إلى سنة ١٩٩٠ م يوم أن دخل العراق في حصار ظالم بعد دخوله الكويت بدا أثر ذلك واضحا على حياة الشيخ صبحي، فالشيخ لم يكن يملك سوى التقاعد دخلا له، وتنوعت محاضرات الشيخ وكثر محبوه وتلامذته من السلفية وطلبة الحديث.

في بداية الحصار دخل رجل سوري سيء الصيت هاربا من السعودية ألا وهو عداب الحمش النعيمي هذا الرجل بعد أن كان يتملق لعلماء السعودية غدا حربا على أهل السنة والحديث وعلى السلفيين، ويتزلف إلى الحكومة العراقية ببغض الحكومة السعودية والوهابية! ويتزلف للصوفية الذين كان نائب رئيس الجمهورية عزة الدوري يدعمهم، ودعم عداب الحمش، قام عداب بكتابة رسالة للدكتوراة في (الوحدان في البخاري) وكان طعن فيها بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها وطعن بشكل واضح بصحيح البخاري، وفي مناقشة الرسالة وقف له ثلة من العلماء والأساتذة لمناقشتها ودحضها منهم الدكتور هاشم جميل، والدكتور حارث الضاري، وامتنع الشيخ صبحي السامرائي رحمه الله من حضور مناقشة رسالته مخافة أن يرتكب بحقّ عداب ما لا تحمد عقباه!! وبقي موجوداً في إحدى قاعات الدراسة منتظراً ومترقباً لنتيجة المناقشة، فلما قررت اللجنة رفض الرسالة ما كان من الشيخ صبحي إلا أن سجد شكرا لله تعالى، لكن بتدخل من عزة الدوري سمح له برسالة ثانية لينال الدكتوراه، ويومها تأذى الشيخ صبحي من هذا الخبر، ومن هذا الدعم من قبل الحكومة، وكان هذا سنة ١٩٩٩م.

وفي سنة ٢٠٠٣ م احتُلّ العراق، وعرف الشيخ صبحي أن الشيعة قادمون لحكم البلاد فشرع بترتيب أموره خارج البلاد فسافر إلى الأردن حيث يقطن بعض أولاده، ثم إلى سوريا وكان يحذرهم من حكم النصيرية ويقول: هؤلاء كفّار ليسوا على الإسلام. واستقر الأمر به في لبنان. وفي لبنان عرفه أهلها، وأقبل بعضهم على الشيخ ينهل من علمه وروايته لحديث رسول الله ﷺ فبقي الشيخ على نهجه في التحذير من الشيعة، وربما يذكر لنا أهل لبنان شيئا من تحذيراته من حزب الشيطان.

رحم الله الشيخ صبحي وأجزل له المثوبة وأنزل عليه شآبيب الرحمة والمغفرة؛ فقد كان قلما للسُنة وأهلها يدعو لها ويذود عنها، وسيفا وحربا على الرفض وأهله.

وثيقة الأزهر للمرأة.. قراءة نقدية

فاطمة عبد الرؤوف(*) – خاص بالراصد

أخيرا وبعد أكثر من عام شقّت وثيقة الأزهر طريقها للنور بعد كثير من الحوار ووجهات النظر المتباينة وتدخل العديد من الشخصيات الثقافية، وبعد احتدام شديد لقضايا المرأة والأسرة على الساحة العربية والإسلامية خاصة بعد الجلسة ٥٧ للجنة مركز المرأة بالأمم المتحدة، والتي عقدت

(*) كاتبة مصرية.

في شهر مارس الماضي والتي طرحت وثيقة بعنوان: «إلغاء ومنع كافة أشكال العنف ضد النساء والفتيات» وأثارت ردود فعل بالغة الغضب من علماء الإسلام لما تضمّنته من وضوح في الأهداف كان يتستر بعبارات غامضة ومطاطة في وثائق سابقة[1].

يذكر أنه حضر اجتماع هيئة كبار العلماء والذي تم خلاله إقرار وثيقة حقوق المرأة كل من: الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر، والدكتور يوسف القرضاوي رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، والدكتور علي جمعة مفتي الجمهورية السابق، والدكتور أحمد عمر هاشم، والدكتور محمود حمدي زقزوق، وزير الأوقاف الأسبق، والدكتور نصر فريد واصل مفتي الجمهورية الأسبق، والدكتور حسن الشافعي مستشار شيخ الأزهر، والدكتور محمد عمارة.

تتضمن الوثيقة سبعة محاور رئيسية، هي قيمة المرأة الإنسانية والاجتماعية، والشخصية القانونية للمرأة، والمرأة والأسرة، والمرأة والتعليم، والمرأة والعمل، والمرأة والأمن الشخصي، والمرأة والعمل العام.

وهي في مجملها وثيقة متوازنة مرتبطة بالشريعة الإسلامية بحيث تكون هي المرجعية الأساسية لها كما صرحت الوثيقة في أكثر من موضع ولكن هناك عدد من الإشكالات عند قراءة هذه الوثيقة بنظرة موضوعية ومن ذلك:

- صيغت هذه الوثيقة بطريقة فضفاضة حمالة أوجه وبالتالي سوف يقرؤها الإسلاميون بمعنى ويقرأها العلمانيون والنسويات قراءة جد مختلفة مستندين للنص نفسه ... هناك فقرات حاسمة وواضحة كالحديث عن زي المرأة في الإسلام مثلا ولكننا لن نجد هذا الوضوح مثلا عند الحديث عن مفهوم قوامة الرجل ومن هنا نستطيع أن نفهم لماذا احتفى المجلس القومي للمرأة في مصر مثلا بهذه الوثيقة.
- كان من الواضح جدا أن هذه الوثيقة صيغت وشبح الآخر يطارد كاتبها فسعى لاسترضائه وعدم الهجوم الواضح عليه أو على المؤسسات التي تقف خلفه وهي إشكالية واضحة في خطاب الكثير من الإسلاميين في العديد من القضايا وليس في قضية المرأة وحدها.
- ينقص الوثيقة الكثير من التفاصيل فالوثائق الأممية مليئة بالتفصيلات والأمثلة والخلاف غالبا ما ينصبّ على التفاصيل وليس على المبادئ العامة.

المساواة والمسئولية

اعتبرت وثيقة الأزهر أن المساواة والمسئولية هما أساس طبيعة العلاقة التي تحكم بين الرجل والمرأة في المجتمع الإسلامي وبهما تتحدد قيمة المرأة الإنسانية والاجتماعية، واعتبرت أن المساواة والمسئولية هما المظلة الكبرى والقاعدة الأساسية والأصيلة والتي لا تتغير تحت بعض الأحكام الجزئية الخاصة، حيث قالت الوثيقة:

(يتأسس وضع المرأة في الإسلام على المساواة مع الرجل، سواء في مكانتها الإنسانية أو من حيث عضويتها في الأمة والمجتمع، وهو مبدأ بيّنه الخالق سبحانه وتعالى في قوله: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [آل عمران: ١٩٥].

العلاقة بين المرأة والرجل تقوم على المسؤولية المشتركة التي أساسها ومعيار التفاضل والأفضلية فيها كلمة الحق والعدل مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ

---

(١) انظر مجلة الراصد، العدد ١٢٠، مقال «منع العنف ضد النساء العلمانية تتصب شباكها» لكاتبة هذه السطور، على الرابط:
http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=6135

﴿حَكِيمٌ ٧١﴾ [التوبة: ٧١]..

إن مبدأي المساواة والمسؤولية المشتركة كأساس لفهم وتأسيس العلاقة بين الجنسين في الأمة قد قررتهما آيات واضحة، بحيث لا يجوز تحجيمهما من خلال أحكام جزئية خاصة).

القوامة .. بعض الغموض

هل أكون مبالِغة إن قلت إن الضغط الأممي والفكر النسوي والاتهامات العلمانية الخانقة جعلت بعض المفكرين الإسلاميين في شيء من الحرج فيلجؤون أحيانا إلى حديث عام لا تفاصيل فيه أو يعتريه بعض الغموض أو يسرفون في التأويل أو يقدمون تعريفات ناقصة؟! هذا ما استشعرته عند حديث وثيقة الأزهر عن مفهوم القوامة بعدما تحدثت مباشرة عن مكانة المرأة الإنسانية والاجتماعية وكأنما القوامة تنقص من هذه المكانة تقول، الوثيقة:

(وإذا كانت المساواة في النفس والروح والكرامة الإنسانية، والمشاركة في المسؤولية عن الكون وإعماره، مفاهيم جوهرية لعلاقة الرجل والمرأة في الإسلام، فإن مفهوم القوامة يؤكد على المسؤولية الحكيمة، ويعني الالتزام المالي نحو الأسرة، وأن يأخذ الزوج على عاتقه توفير حاجات الزوجة المادية والمعنوية بصورة تكفل لها الإشباع المناسب لاحتياجاتها، وتشعرها بالطمأنينة والسكن، بما يحقق المسؤولية المشتركة بين الرجل والمرأة، وليست سلطة التصرف المطلقة والهيمنة من قبل الزوج أو الأب تجاه الزوجة والأولاد).

فهل القوامة هي مجرد الالتزام المالي نحو الأسرة وتوفير حاجات الزوجة المادية والمعنوية وليس فيها أن الرجل قائد للأسرة - بالطبع هناك فارق شاسع بين القيادة بالشورى وبين القيادة بالهيمنة والاستبداد - ولِم لا تتطرق الوثيقة لقوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ٢٢٨﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وتحت عنوان: (الشخصية القانونية للمرأة) تطرقت الوثيقة لتمتع المرأة بكامل الأهلية والمسئولية القانونية وكذلك بالذمة المالية المستقلة، فقالت:

(تتمتع المرأة بالأهلية الكاملة ولها ذمتها المالية المستقلة، وحق التصرف الكامل المستقل فيما تملك منذ صدر الدعوة إعمالا للمبدأ، الذي أقره النبي (ﷺ): «المسلمون تتكافأ دماؤهم يسعى بذمّتهم أدناهم ويجير عليهم أقصاهم» (سنن أبي داود – كتاب الجهاد). قال تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٧١﴾ [التوبة: ٧١].

ولكن عندما تطرقت الوثيقة للحديث عن حق المرأة الشرعي في الميراث نددت بالأعراف والتقاليد التي تهدر حق المرأة في الميراث والذي كفله لها الشرع (للمرأة حق شرعي غير منازع في الميراث، وعلى الدولة ضمان حصول المرأة على حقها، وعلى أهل العلم وحكماء الأمة وقيادات الرأي العام بذل الجهد لوضع حد للأعراف والتقاليد الظالمة، التي تعطل إعمال النصوص الشرعية لميراث المرأة، الذي وصفه الله تعالى بكونه ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ٧﴾ [النساء: ٧]، ووضع الضمانات القانونية لحمايته). ولم تندد بمن يريدون المساواة والتماثل المطلق في الميراث حيث تنص اتفاقية إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو) على التماثل المطلق بين الرجل والمرأة وإلغاء القوانين والأعراف التي تخالف ذلك[1].

---

(١) نص المادة الثانية من اتفاقية سيداو: (تشجب الدول الأطراف جميع أشكال التمييز ضد المرأة، وتتفق على أن تنتهج، بكل الوسائل المناسبة ودون إبطاء، سياسة تستهدف القضاء على التمييز ضد المرأة، وتحقيقا لذلك تتعهد بالقيام بما يلي:

(أ) إدماج مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في دساتيرها الوطنية أو تشريعاتها المناسبة الأخرى، إذا لم يكن هذا المبدأ قد أدمج فيها حتى الآن، وكفالة التحقيق العملي لهذا المبدأ من خلال التشريع وغيره من الوسائل المناسبة.

(ب) اتخاذ المناسب من التدابير، تشريعية وغير تشريعية، بما في ذلك ما يناسب من جزاءات، لحظر كل تمييز ضد المرأة.

=

المرأة والأسرة

يبدو أن هذه النقطة من الوثيقة قد أخذت وقتا طويلا حتى تخرج على هذا النحو لأن المجلس القومي للمرأة في مصر كان قد تقدم بمقترحات رفضتها هيئة كبار العلماء فالمجلس القومي للمرأة كان يريد مثلا ألا يتم الطلاق بإرادة منفردة بمعنى منع الزوج من حقه في التطليق إلا بموافقة الزوجة وهو ما لم تقبله هيئة كبار العلماء بالطبع.

وعلى الرغم من ذلك أبدى المجلس القومي للمرأة احتفاءه بالوثيقة وكأنها عين ما أراد، حيث أن استراتيجيتهم هي عدم الهجوم العلني على الأزهر أو الشريعة حتى لا يؤلبوا الرأي العام عليهم وإنما يعتمدون على الاقتحام الناعم فيستفيدون من بعض العبارات التي تتسم بالمطاطية والغموض لإثبات أفكارهم وكسب ثقة المجتمع ومن ثم وتدريجيا تحدث التعديلات المطلوبة.

تقول وثيقة الأزهر عن الأسرة: (الأسرة هي أساس المجتمع ووحدته الأولى، وهي كيان تعاقدي ومادي، ومعنوي، وينبغي اتخاذ كل الإجراءات والتيسيرات التي تدعم هذا الكيان وتصونه. فالأسرة كيان تعاقدي لكونها علاقة إرادية تنشأ بالاتفاق وتنتهي إما بالاتفاق أو بحكم القضاء مع التعويض أو بدونه، وللرجل والمرأة في ذلك كله إرادة متساوية في إنشاء الأسرة وإنهائها بالأصالة أو التفويض، فتتم حسب ما يقرره الشرع في محكم آياته، وحسب ما تنص عليه شروط العقد، وأساسه الأول هو التراضي والقبول المتبادل، ومسألة التوثيق إنما هو لحماية الطرفين وبخاصة حقوق المرأة، تقوم الأسرة على المشاركة والشورى والعدل والمودة والرحمة.

وقد كتب الله تعالى على الرجل الإنفاق على الأسرة فريضة عليه، نظراً لقيام المرأة بدورها الطبيعي في الإنجاب ورعاية الأبناء. فالإنفاق حق للمرأة والطفل واجب على الرجل. ولا يعني ذلك حبس كيان المرأة والرجل في تلك الأدوار لأن لكل منهما أدوارًا أخرى متعددة).

المرأة والتعليم

وهذه الفقرة هي أصغر فقرة في الوثيقة وهي تعلن موافقة الأزهر على التعليم المتساوي لكل من الولد والبنت، وليتهم أضافوا فقرة عن إضافة بعض المقررات الخاصة للإناث أو الحثّ على أن يكون مجال التعليم مناسبا لطبيعة الفتاة حتى لا تكون مجرد أموال مهدرة ومن الممكن أن يفعل هذا الحث بالطرق التربوية والإعلامية وليس عن طريق القوانين الملزمة لأنه في النهاية لكل قاعدة شواذ، تقول الوثيقة:

(التعليم حق من حقوق المرأة ويجب أن تسعى الدولة والمجتمع لتوفير ودعم فرص المرأة في التعليم دون تمييز، وهذا الحق يمنع الأسرة من التمييز بين الولد والبنت في تلقي التعليم اللازم للارتقاء بهما مادياً ومعنوياً).

المرأة والعمل

هذا الجزء من الوثيقة حظي باهتمام إعلامي بالغ وجاءت فقراته كعنوان للوثيقة في عدد كبير من الصحف.

اعتبرت الوثيقة أن العمل خارج المنزل قد فرض على النساء فرضا عن طريق المتطلبات الاقتصادية أو عن طريق رغبة المرأة في استثمار التعليم الذي حصلت عليه، وتجاهلت الوثيقة ربات البيوت

(ج) فرض حماية قانونية لحقوق المرأة على قدم المساواة مع الرجل، وضمان الحماية الفعالة للمرأة، عن طريق المحاكم ذات الاختصاص والمؤسسات العامة الأخرى في البلد، من أي عمل تمييزي.

(د) الامتناع عن مباشرة أي عمل تمييزي أو ممارسة تمييزية ضد المرأة، وكفالة تصرف السلطات والمؤسسات العامة بما يتفق وهذا الالتزام.

(هـ) اتخاذ جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة من جانب أي شخص أو منظمة أو مؤسسة.

(و) اتخاذ جميع التدابير المناسبة، بما في ذلك التشريعي منها، لتغيير أو إبطال القائم من القوانين والأنظمة والأعراف والممارسات التي تشكل تمييزا ضد المرأة).

وتعتبر الناشطات النسويات أن عدم التماثل المطلق في الميراث لون من ألوان التمييز، والمقال لا يتسع لضرب نماذج من هذه المطالبات النسوية في عدد من الدول الإسلامية.

الحاصلات على مستوى عال من التعليم واللاتي رفضن عن قناعة الخضوع لتلك الضغوط، كذلك لم تتطرق الوثيقة لقضية أهمية القرار في البيت للمرأة ونكاد نجد روح المجلس القومي للمرأة وروح المواثيق الأممية مهيمنة على هذه الفقرة ولعل ذلك ما جعلها تحظى بهذا الزخم الإعلامي.

جاء في الوثيقة: (إن الواقع المعاصر في متطلباته الاقتصادية أو نتيجة للتعليم قد فرض على النساء العمل إلى جانب القيام بتبعات وظيفتهن الإنسانية والطبيعية في حفظ النوع. والعمل نهج شريف لتحصيل الرزق، لا يرفضه الدين بما يتناسب مع ظروف الزوجين وأبنائهما طالما اقترن بالحفاظ على الفروض والآداب الإسلامية).

تخاطب الوثيقة الجهات المسئولة لتيسر قواعد العمل للنساء حفظا للأسر وهي لفتة كريمة ومهمة (إن عمل المرأة بهذا المعنى يرتب على أولي الأمر مجموعة من الالتزامات: أولها أن يقوم على قاعدة تكافؤ الفرص والعدالة، وبخاصة المحتاجة والفقيرة والمعيلة؛ إعمالاً لمبدأ الرعاية والتيسير لا مجرد المساواة فحسب حفظاً للأسر من الانهيار؛ ولذلك ينبغي تيسير قواعد العمل بالنسبة للنساء العاملات).

والوثيقة تمنح نظرة جديدة لواجبات وحقوق الزوجين تقوم على التشارك في حمل الهم المادي والاقتصادي - الذي جعلته الوثيقة من قبل المعنى الوحيد للقوامة - وكذلك رعاية الأبناء والمسنين في الأسرة ولكن الألفاظ يشوبها شيء من الغموض حيث أنه لا مانع شرعا من التوافق والتعاون في كل شيء بل هو أمر مستحب بكل تأكيد، ولكن العبارات تشبه في صياغتها ما عهدناه في الوثائق الأممية[1].

(١) اقتبس هنا بعض فقرات من تقرير المؤتمر العالمي لاستعراض وتقييم منجزات عقد الأمم المتحدة للمرأة: المساواة، والتنمية، والسلم، نيروبي، كينيا، ١٥- ٢٦ تموز/ يوليو ١٩٨٥ نقلا عن المهندسة كاميليا حلمي مصطلح الأسرة في أبرز المواثيق الدولية: دراسة تحليلية.

تطالب الوثيقة بـ (تحقيق التوافق الأسري على التعاون والتضافر في حمل الأعباء المادية وغير المادية كرعاية الأبناء والآباء).

وأكدت الوثيقة على حق المراة باعتبارها مواطنا في أن تحقق لها الدولة الحياة الكريمة في حالة الفقر أو العجز وهي فكرة مستمدة من التراث الحضاري للإسلام الذي جعل للمرأة حقا أكيدا في بيت المال (واجب الدولة نحو المرأة والطفل كما هو الحال بالنسبة للرجل عند انسداد سبل العيش والبطالة أو العجز عن توفير حدود الكفاية في التعليم والمعيشة الكريمة والسكن، واجب متساوٍ وضروري يتأسس على منطق حقوق المواطنة لا الإغاثة).

بين الحجاب والتحرش

تحدثت الوثيقة عن قضية أصبحت تشغل الرأي العام بشدة ألا وهي جريمة التحرش فأدانته وفق رؤية متكاملة وواضحة لنظرة الإسلام لجسد الإنسان (يتبنى الإسلام رؤية متكاملة بالنسبة لجسد الإنسان (وشتى جوارحه) على أنه أمانة ومسؤولية أمام الله عز وجل ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقد كان ولا يزال- للأسف الشديد - الاستغلال والعدوان بكل صوره، ومنه التحرش وسائر صور الاعتداء الجنسي – خاصة على المرأة، أحد المآسي والآفات الإنسانية الكبرى على مدى التاريخ. وإذا كان تحمل مسؤولية وحفظ الجسد الإنساني من الفواحش هو مسؤولية الفرد، فإنها على الجانب المقابل مسؤولية الجماعة أيضاً، وخاصة في الظروف المستجدة، بل هي من الضرورات الشرعية، حفظ النفس والدين والعرض والعقل والمال).

وربطت الوثيقة في هذه الفقرة بصورة غير مباشرة بين زي المرأة (الحجاب) وبين جريمة التحرش حيث أن الحشمة والحجاب حماية للأنثى من التحرش بها، ونصت الوثيقة على أن زي المرأة

في الإسلام أمر قد حسمته الشريعة وهذه إحدى القضايا التي أخّرت خروج الوثيقة حيث كان المجلس القومي لحقوق المرأة يريد إدخال فقرة تنصّ على حرية المرأة في اختيار الزي الذي يناسبها وهو الأمر الذي رفضه العلماء بشدة (إن موضوع زي المرأة في الإسلام أمر حسمته الشريعة، وجرى عليه جمهور فقهاء المسلمين وعلمائهم، وفحواه أن الحشمة في الزي مطلوب شرعي، وأن كشف الوجه والكفين أجازتهما الشريعة، ولا ينبغي أن تمنع عادة، أو تحول دونه ثقافة).

العمل العام

ترى الوثيقة أن من حق المرأة تولي الوظائف العامة بشرط أن تكون مؤهلة لذلك وهو عين ما حدث في صدر الإسلام، (للمرأة الحق في تولي الوظائف العامة متى اكتسبت المؤهلات، التي تقتضيها تلك الوظائف، وعلى الدولة أن تحافظ على تكافؤ الفرص إزاء المرأة والرجل، ومِن المعلوم أن النساء المؤهّلات قد تولين في صدر الإسلام وظائف عامة في التعليم وفي الأسواق وفي العلاج وغيرها).

ونصّت الوثيقة صراحة أن حق المرأة في العمل العام يتم وفقا لظروفها وإمكاناتها، وليتها نصت على هذا الأمر وهي تتحدث عن عمل المرأة مدفوع الأجر أو طبيعة التعليم الذي تتلقاه (هذا وللمرأة الحق في العمل التطوعي الخدمي والعمل العام حسبما تهيّؤه لها ظروفها الخاصة وإمكاناتها ومواهبها وحوافزها الشخصية. فإن العمل التطوعي والخدمة العامة هي حق وواجب الإنسان رجلا كان أو امرأة من فضل ماله وعلمه وجهده، وهو فرض كفاية على المجتمع كله).

واختتمت الوثيقة بالحديث عن حقوق المرأة السياسية ناخبة ومنتخبة لها كامل حقوق المواطنة (وأخيرا فإن المرأة صاحبة حق أصيل في الجماعة الوطنية ولها حق – وواجب- النصيحة والشورى والقيام بالقسط، وهي محملة بالأمانة مستخلفة كالرجل، سواء بسواء، ويفرض عليها كل أولئك المشاركة في العمل العام ناخبة ومنتخبة لإيصال ما تراه صحيحا من آراء وحقوق ومصالح عامة إلى القائمين على صنع القرار في الجماعة الوطنية).

"حزب الله" في سوريا... الخسارة والدوافع والمستقبل

أسامة الهتيمي(*)– خاص بالراصد

قبل أن يكمل عامه الثلاثين، كتب حزب الله اللبناني الذي تأسس عام ١٩٨٥م شهادة وفاته بيديه بعد أن انتحر علانية بإطلاق رصاصة على هالته وأكذوبته التي طالما خدع بها الملايين من البشر إذ وعندما اعترف حزب الله الذي يسيطر على حكومة تسيير الأعمال الضعيفة في لبنان علنا بأنه أرسل مقاتلين من عناصره إلى سوريا لمساندة القوات النظامية التابعة للرئيس السوري بشار الأسد في حربه الضروس ضد مقاتلي المعارضة السورية ثم تعهد بعدها بدعم نظام الأسد بكل ما لديه من قوة فإن ذلك في الحقيقة مثّل نقطة فارقة في تاريخ وعمر هذا الحزب الذي حاول ولنحو عامين تقريبا أن يتظاهر بكونه محايدا غير منحاز فيما يخص الثورة السورية وهو الادعاء الذي ربما كان يحفظ للحزب وحتى وقت قريب بعضا من ماء وجهه وشعبيته التي استمدها باعتباره رمزا لمقاومة الكيان الصهيوني في مرحلة زمنية تخلّت فيها أغلب الأطراف المعنية عن المقاومة والصمود.

لكن يبدو أن حزب الله وقادته لم يستطيعوا – بكل أسف - الصبر كثيرا على التجمل والادعاء فلم تكن لتمر سبعة أعوام على ذكرى ذلك الانتصار المزعوم الذي ادّعى أنه حققه في

(*) كاتب مصري.

معركته مع القوات الصهيونية فيما عُرف بحرب «تموز ٢٠٠٦م» والذي كان دافعا ومحفزا في ذات الوقت لأن تخرج الملايين من الجماهير في أغلب البلدان العربية والإسلامية السنية في الساحات والميادين تعلن وتؤكد دعمها وتأييدها للحزب ولأمينه العام السيد حسن نصر الله غاضة الطرف عن الدعاية المضادة له حتى أبت الأقدار وأبى الحزب ذاته إلا أن يكشف عن نفسه على حقيقتها ويحسم بسلوكه الأخير والمشين ذلك الجدل الدائر حوله وحول طبيعته ومدى نبل وصدق أهدافه لصالح ذلك الفريق الذي كان وما زال يرى أن «حزب الله» حزب طائفي يتشدق بالمقاومة ضد الكيان الصهيوني وأن دعمه لبعض فصائل المقاومة الفلسطينية ليس إلا من باب الخداع واستقطاب الجماهير العربية والإسلامية التي افترضت بدءا حسن النية، فيما هو يتستر خلف ذلك بالعمل على تحقيق مآرب وأهداف أخرى لا تخرج جميعها عن الطائفية والتمكين للمشروع الإيراني الشيعي في المنطقة.

سبع سنوات فقط أصبحت هي التي تفصل بين قمة صعود حزب الله وبين قمة انحداره إلى القاع بل والموت سريريا .. سبع سنوات فقط هي التي فصلت بين النظرة الشعبية – التي استظلت بالسذاجة والطيبة - له باعتباره نموذجا مشرفا للمقاومة والدفاع عن شرف الأمة وكرامتها وتحرير أرضها من المغتصب وما بين تنامي رغبة الكثيرين في الانتقام من رجاله والثأر من عناصره لدماء الأبرياء من السوريين الذين لقوا حتفهم جراء رصاص قواته بعدما حول الحزب بين ليلة وضحاها اتجاه سلاحه من صدور العدو الصهيوني إلى صدور أبناء الأمة من السوريين الذين هبوا في ثورتهم الشعبية المجيدة ضد نظام بشار الأسد المستبد ليكونوا مثلهم مثل كثير من الشعوب العربية المنتفضة لنيل الحرية.

بين المكسب والخسارة

لقد كانت كل الدلائل والأحداث تؤكد أن حزب الله – ربما - لم يخسر بالفعل على مستوى القوة والنفوذ السياسي، فعلى مستوى القوة تمكّن الحزب خلال السنوات التالية على الحرب من أن يعوّض وعبر داعميه الأساسيين (الدولة الإيرانية ونظام بشار الأسد) الكثير من الأسلحة والعتاد التي فقدها في معركة تموز ٢٠٠٦م وهو ما جعله أكثر قوة مما كان عليه قبل الحرب مع ارتفاع شديد للحالة المعنوية لقادته وجنوده في ظل اعتقاد بأن الحزب خرج من هذه الحرب منتصرا.

وعلى المستوى السياسي تمكن الحزب أيضا من أن يصبح القائم على حكومة تسيير الأعمال في لبنان على الرغم من تلك المعارك السياسية الشرسة التي قادتها الأحزاب المنضوية تحت تيار ١٤ آذار في مواجهته وهو بذلك حقق لنفسه وجودا سياسيا تمكن من خلاله أن يخفف من ضغوطات الدولة اللبنانية على الحزب باعتباره دولة داخل الدولة فضلا عن امتصاص حالة الاستياء العارمة تجاهه بعدما وجهت له العديد من الأطراف في داخل لبنان وخارجه الاتهام بالمسئولية عن اغتيال رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري.

لكن لا شك أن الحزب وبعد انجراره للحرب في سوريا قد خسر خسارة فادحة على المستوى الشعبي والجماهيري، فالجميع لا يمكنه أن ينسى تلك الجموع الجامعة التي خرجت في أغلب البلدان العربية تهتف باسم حزب الله وتدعو الحكام والأنظمة إلى مساندته في حربه ضد الصهاينة، ولا يمكن للذاكرة أن تنسى أيضا صور حسن نصر الله التي ملأت الشوارع وشرفات المنازل ومؤخرات السيارات احتفاءً به وتقديرا له باعتباره رجل العرب الأول الذي قال للكيان الصهيوني «لا».

بل ولا يمكن أن ينسى العرب والمسلمون تلك

المعارك الجدلية والنقاشات الحامية التي دارت بين معسكرين من العلماء والمشايخ والدعاة أحدهما كان يرى في حزب الله الأمل والقدوة فيما كان يرى الآخر فيه الخداع والمكيدة ليصبح أهل المعسكر الأول في نظر الناس هم المجاهدون المقاومون فيما كانت علامات الاستفهام ونظرات الريبة والشك تحيط بأهل المعسكر الثاني.

لكن فجأة وفي لحظة من الغباء أو بالأحرى في لحظة من الانكشاف ينقلب كل هذا على حزب الله ويصبح التأييد ونظرة الإجلال والتبجيل التي حظي بها الحزب من ملايين المسلمين والعرب نظرة احتقار واحتقان ويتحول دفاع العلماء والمشايخ من أهل المعسكر الداعم للحزب إلى كلمات اعتذار للجماهير عن الخطأ في تقييم الحزب وتوجهاته وأن تقييم أهل المعسكر المهاجم هم الأصح والأصوب ومن ثم الإسراع وبلا أدنى تردد إلى الإعلان عن تبرئهم من حزب الله ومِن قياداته ومن فعله والندم أشد الندم على الدعم القولي والفعلي لهذا الحزب.

الدوافع وخلفيات التحول

ليس من المقبول القول بأن حزب الله اتخذ قراره بإرسال قواته إلى سوريا لدعم قوات الأسد دون دراسة واعية ومدققة للآثار السلبية التي يمكن أن تترتب على ذلك ومن ثم فهو وقبل الإقدام على هذه الخطوة يدرك جيدا أن أهم التداعيات التي ستترتب على ذلك هو فقدانه للظهير الشعبي المساند له في البلدان العربية والإسلامية، ذلك أن هذا الظهير سيكون على إيمان تام بطائفية الحزب وأنه جزء من منظومة الصراع بين السنة والشيعة وهو ما دفع الحزب لأن يعمل على محورين ربما يبدو بينهما تناقض لكنه حاول وما زال أن يوهم الآخرين بانعدامه.

فأما المحور الأول فهو بذل ما يمكن من جهد من أجل إنقاذ نظام بشار الأسد النصيري والذي يعد الأقرب له مذهبيا من بين كل الأنظمة العربية فضلا عن تقاربهما سويا مع نظام الدولة الإيرانية التي ترى في كل من نظام الأسد وحزب الله ساعديها الأقوى في المنطقة.

أما المحور الثاني فهو الترويج إلى أن نظام الأسد هو النظام الوحيد من بين بلدان المنطقة الذي ما زال يدعي الوقوف في خندق المقاومة والممانعة وأن ما يحدث في سوريا ليس إلا جزءا من مخطط أمريكي وصهيوني يهدف إلى إفشال مشروع المقاومة بل والقضاء على كيانات الدول العربية والإبقاء على «إسرائيل» كدولة قوية وحيدة.

وبالسير على هذين المحورين يسعى حزب الله إلى أن ينفذ تعليمات طهران التي ترى أن الأسد يجب أن لا يسقط، كي يرد الجميل للأسد الذي لم يبخل ولم يضن بدعم حزب الله طيلة ما مضى وهو في نفس الوقت يحاول أن يكسب ولو الحد الأدنى من التعاطف الشعبي العربي والإسلامي بالادعاء أن موقفه ليس نابعا من كون النظام الأسدي شيعيا أم سنيا ولكن لكونه نظاما مقاوما، وهو في الحقيقة ما حققه بعض الشيء خاصة بين أولئك الذين يسمون أنفسهم بأنهم «قوميون» و«عروبيون».

لكن فات حزب الله أن الدعم السوري للحزب في مقاومة «إسرائيل» لا يسوغ لدى الشعوب العربية والإسلامية لسوريا أو لنظامها ممارسة الاستبداد ومواصلة الانتهاكات بحق الشعب السوري، فالمفترض أن المقاومة ليست إلا أداة لتحرير الشعوب وبالتالي فإنه ليس من المقاومة في شيء أن توجه سلاحها لصدور أبناء الأمة الذين ينشدون الحرية.

وفاته أيضا أن دعوى نظام الأسد بكونه في خندق الممانعة والمقاومة دعوى مجردة، بل إن موقف الأغلبية السنية في سوريا كان أكثر مقاومة وممانعة عندما طالب بدخول الدولة السورية في

معترك المقاومة واستنكرت على نظام الأسد «الأب والابن» عدم إطلاق رصاصة واحدة لمدة أربعين عاما في الجولان المحتل.

كذلك فإن تدخل حزب الله وانحيازه للأقلية في سوريا باعتباره مقاومة يعد إشارة ذات دلالتين هامتين:

الأولى: أن حسن نصر الله وحزبه ينظرون لأغلبية السوريين أنهم ضد المقاومة وأنهم من المعسكر الخانع أمام الكيان الصهيوني وفي هذا مجافاة للحقيقة كما أشرنا سالفا.

أما الثانية: فهي أن نصر الله يحاول تصوير أهل السنة بعمومهم وكأنهم ليسوا مع المقاومة ضد العدو الصهيوني وأن الشيعة هم رمز المقاومة وفي هذا أيضا تجاهل كامل لحقائق الواقع التي تقدم لنا نماذج مشرفة للمقاومة من أمثال حركة حماس في فلسطين وغيرهما من الجماعات المقاومة في العديد من البلدان العربية والإسلامية، بل إن ما حدث في العراق خير شاهد على أن المقاومة السنية لم تقبل في مقابل مصالح ضيقة وطائفية أن تتنازل عن حق الجهاد ضد الأمريكيين المحتلين في العراق بخلاف الجماعات والفصائل والأحزاب الشيعية هناك والتي فرطت في استقلال العراق وسيادته في مقابل أن تستأثر لنفسها بالهيمنة على العراق.



كذلك ثمة نقطة هامة لابد من الإشارة إليها عند الحديث عن مبررات نصر الله للتدخل في سوريا حيث تحدث عن التكفيريين والذين قصد بهم تلك العناصر المجاهدة التي حملت على عاتقها عبء الجهاد في سوريا ومشاركة إخوانهم من السوريين بالقتال ضد نظام الأسد وهي لا تخلو من معاني واضحة استهدفها نصر الله في خطابه ومنها:

❖ أنه أراد أن يوجه رسالة ترهيب إلى الولايات المتحدة الأمريكية بشكل خاص والغرب بشكل عام مفادها أن سوريا يمكن أن تتحول إلى بؤرة جديدة من تجمع الإسلاميين الجهاديين من كل العالم ليتكرر سيناريو أفغانستان مرة أخرى وهو بهذا يحاول أن يغير موقف الغرب من الأحداث الدائرة في سوريا عبر التهديد المباشر لأمنهم ومصالحهم.

❖ محاولة تحميل أهل السنة مسؤولية تحويل النزاع السوري – السوري من حالته التي يجب أن يكون عليها إلى نزاع طائفي حيث التحق بالثوار مقاتلون سنة من بلاد شتى كان مجيئهم والتحاقهم بالقتال ليس إلا لأن بشار الأسد وبطانته ينتمون إلى العلويين ومن ثم فإن تدخله لم يأت إلا بعد تدخل هذه العناصر وهو ما يعرض المقدسات الشيعية مثل مقام السيدة زينب للخطر.

وبالطبع يراهن نصر الله وكعادة كل المزيفين للحقائق على أن المواطن العربي يفتقد القدرة على الربط بين الأشياء فينسى الناس ما قدمه نصر الله وقادة كتائبه المقاتلة في سوريا من وعود بالجنة وكأن من يقاتلونهم من الثوار السوريين هم كفار.

وتجاهل نصر الله أن العديد من المجاهدين والثوار العرب لحقوا أيضا بالحرب التي قامت بين الرئيس الليبي السابق معمر القذافي وهو سني المذهب وثوار بلاده حيث انضموا للمقاتلين من الثوار الليبيين فيما سارعت العديد من الشعوب بتقديم يد العون لهم حتى حققوا النصر وأسقطوا القذافي.

وفيما يتعلق بهذا الشأن أيضا فإن ثمة نقطة أخرى جديرة بالإشارة إذ كان نصر الله وحزبه مخيرين بين أمرين في محاولة لدعم الأسد والشد

من أزره لمواجهة الثورة السورية الجامحة فإما أن يرد الجميل ويشارك برجاله وعتاده مع قوات الأسد وشبيحته في حربهم وإما أن يصطنع حربا مع العدو الصهيوني تلفت النظر بعيدا عما يحدث في سوريا وتحدث حالة استقطاب كبيرة في الصف العربي والإسلامي غير أن نصر الله انتهى إلى الخيار الأول حيث أدرك أن الحرب مع «إسرائيل» تعني النهاية.

مستقبل الحزب بعد الورطة

لا يمكن لأي محلل عند الحديث عن مستقبل حزب الله في المرحلة المقبلة أن يغض الطرف عن التطورات الحادثة سواء على الساحة اللبنانية أو على ما يجري في سوريا كما لا يمكن أن يتجاهل الدور الإيراني الذي يعدّ محركا أساسيا في الأزمة السورية بل والمسئول الأول عن تورط حزب الله في المستنقع السوري.

وما نحاول التركيز عليه في هذه الجزئية هو موقف إيران من حزب الله وخططها المستقبلية في التعاطي معه بعدما تيقنت أنه – أي الحزب - أصبح ورقة محروقة وأنه لم يعد الصورة الأمثل التي يمكن أن تواصل عبرها عملية الخداع للجماهير المسلمة السنية.

واستقراء طريقة تعاطي إيران مع حزب الله ربما يأتي في ضوء قراءة ما حدث مع حركة أمل اللبنانية الشيعية التي كانت الحركة الأكبر والأشمل لشيعة لبنان والتي ما أن تورطت في المذابح التي ارتكبتها بحق الفلسطينيين في لبنان والذين كانت تنظر إليهم الكثير من الأطراف باعتبارهم الجيش السني في لبنان حتى كان البحث عن بديل آخر تجسد في حزب الله اللبناني الذي أسسه نحو تسعة أشخاص كان بينهم اثنان من إيران.

من ثم وفي ضوء ذلك فإن من المحتمل أن تسعى الدولة الإيرانية الخمينية إلى البحث عن بديل آخر عن حزب الله يحاول أن يجمّل وجه الشيعة اللبنانيين وربما يتبرأ مما فعله حزب الله في سوريا وهو أمر ليس مستبعدا عن الشيعة في ظل إيمانهم بمبدأ التقية بل وفي ظل ما يمارسه حزب الله حتى اللحظة فهو مثلا وعبر قناته المنار الأرضية يذيع أذان الصلاة متضمنا «علي ولي الله» فيما يخلو الآذان المذاع على المنار الفضائية من هذه العبارة، وهو مثلا لا يسب ولا يشتم أحدا من الصحابة أو القادة المسلمين السنة عبر التاريخ في حين يمارس هذا على أرض الواقع وفيما بين الشيعة اللبنانيين.

الاحتمال الثاني والذي يميل إليه الكثير من الكتاب والمحللين هو قيام إيران بنقل حزب الله اللبناني وخاصة جناحه المسلح من لبنان إلى العراق وهو الاحتمال الذي أشارت إليه أيضا بعض الصحف الأمريكية حيث أشارت إلى ذلك صحيفة واشنطن بوست مشيرة إلى أن حزب الله بات يبحث عن أرض بديلة للبنان نظرا لأن الأسد يعد حلقة الوصل بينه وبين ايران.

وأضافت الصحيفة أن تفكير إيران في العراق كوطن بديل لحزب الله يشير إلى علاقتها القوية بقادة العراق وعلى رأسهم رئيس الوزراء نوري المالكي الذي تأمل أن يكون بديلا للأسد في الوقت الذي تخطط فيه لجعل العراق حليفا جديدا لها للحفاظ على توازنها الإقليمي الذي بات مهددا بعد رحيل الأسد.



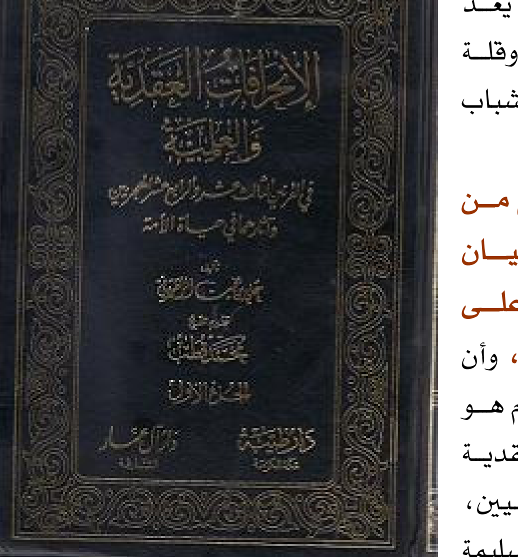

الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة

عرض: أسامة شحادة(*)– خاص بالراصد

هذا الكتاب بالأصل هو رسالة ماجستير قدمت لجامعة أم القرى، وهي من إعداد علي بخيت الزهراني عام ١٤١٥هـ، ثم صدرت عن دار طيبة بمكة المكرمة في مجلدين بـ ١١٠٠ صفحة، والكتاب على أهميته لم يعد من السهولة العثور عليه وقلة من يعرفونه من الشباب الصاعد.

أهمية الكتاب تنبع من فكرته القائمة على بيان خطورة البدع والجهل على مسار الأمة ونهضتها، وأن الواقع السيء للأمة اليوم هو نتيجة طبيعية للأحوال العقدية المنحرفة في القرنين الماضيين، وبيان أن العقيدة السليمة والعلم الصحيح هما الكفيلان بالعزة والرفعة والسعادة، فالكتاب يجمع بين الرؤية العقدية والنظرة التاريخية والروح الاجتماعية، وهو اليوم حاجة ماسة لفهم أمراض وعلل مجتمعاتنا ومعرفة طريق الخروج منها.

كما أن الكتاب يكشف عن معنى مقولة السلف «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»، من خلال بيان الآثار الإيجابية للعقيدة الإسلامية الصحيحة ومنهج الفهم السليم للكتاب والسنة على الأمة، وهو الخلل الحاصل اليوم عند فئات من حملة العقيدة لكنها لم تدرك بعد مقتضيات العقيدة من الإتقان والجد والمسؤولية والوعي والإيجابية والطموح.



ومع الجهد الكبير الذي قام به الباحث إلا أن الموضوع يحتاج إلى مزيد من البحث والتفصيل لما توفر من مصادر إضافية في الموضوع وتبلور رؤى علمية أكثر نضجاً للواقع المعاصر بتياراته الجديدة.

لا يمكن أن نلخص الكتاب في ورقات محدودة ولكنني أكتفي ببيان المحاور العامة التي تناولها المؤلف فيه:

حيث افتتح المؤلف بتمهيد حوى نبذة سريعة عن حال صدر الإسلام وأصحاب النبي ﷺ، وكيف انتشلهم الإسلام من الجاهلية والتخلف ليصلوا إلى القمة في سنوات معدودة.

(*) كاتب أردني.

تناول المؤلف في الباب الأول الأحوال العقدية والعلمية في القرنين الماضيين، وقسّمه لتسعة فصول ناقش فيها:

تقزم مفهوم العبادة، انتشار الفكر الإرجائي، ضعف عقيدة الولاء والبراء، غربة العقيدة الصحيحة، هيمنة الفلسفة وعلم الكلام على كتب العقيدة، انتشار الشركيات والبدع والخرافات، الطرق الصوفية، نشاط الفرق الضالة، موقف العلماء.

وتطلب هذا من الباحث استعراض الكثير من كتب التاريخ والرحلات لرصد صورة الواقع القائم آنذاك وتأثير كل هذه العوامل فيه وماذا أفرزت.

أما الباب الثاني فكان موضوعه الانحرافات العلمية في القرنين الماضيين، والتي تمظهرت بثلاثة أشكال هي:

جمود المناهج العلمية الشرعية وعدم تطورها مع تطور حركة المجتمع من جهة، وإبعاد العلوم الدنيوية من مناهج طلاب الشريعة، فخرج جيل مشوه لا يفهم عصره ولا يتواصل معه، مما ترتب عليه الاستغناء عن طلاب العلوم الشرعية.

والمظهر الثاني: شيوع التعصب المذهبي مما ولد الانقسامات والخلافات وإشغال الأمة بصراعات داخلية عن الأخطار الخارجية.

أما المظهر الثالث فهو الإصرار على غلق باب الاجتهاد وعدم فتحه، مما وفر المبرر للناس أن يجتهدوا من خارج نطاق الشريعة، فتسللت المذاهب والتيارات العلمانية الوافدة.

وخصص المؤلف الباب الثالث لبيان الآثار المترتبة على هذه الانحرافات العقدية والعلمية، وهي آثار داخلية تشمل: الضعف السياسي والعسكري، والضعف الاقتصادي، والضعف العلمي التقني، والضعف الاجتماعي والأخلاقي.

وآثار خارجية تمثلت في اجتياح الاستعمار لبلاد المسلمين، ورافقه غزو فكري نشر الشيوعية والعلمانية، وحملات تبشير وتنصير.

وختم المؤلف كتابه بالباب الرابع عن الصحوة الإسلامية وآفاق المستقبل، استعرض فيه تأثير دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على العالم الإسلامي وكيف تأثرت بها بعض الحركات الإسلامية بمقادير مختلفة، ونبه على ضرورة الوعي بضخامة الواقع السيء الموجود في الأمة اليوم برغم الآثار الإيجابية التي نتجت عن الدعوة السلفية واتباعها.

ثم حذر المؤلف الصحوةَ المعاصرةَ من استمرار نخر الانحرافات العقدية في جسد الأمة، وحذر على وجه الخصوص من انخداع بعض الجماعات الإسلامية بالخميني وإيران، وهو الأمر الذي ظهرت أهميته بشكل جلي اليوم بعد أن نزع الشيعة وإيران وحزب الله قناع التقية عن وجوههم وأوغلوا في دماء المسلمين في سوريا والعراق ولبنان واليمن والبحرين، ومع هذا لا يزال عدد من قادة الإخوان المسلمين يعتبر ما حدث هو موقف سياسي خاطئ يمكن تجاوزه إذا تراجعت إيران عنه!

الخلاصة: هذا الكتاب هام في بابه وهو يفتح الباب للراغبين بمعرفة أسباب ضعف الأمة المعاصر ومعرفة إلى أين وصلنا في مسيرة الصحوة وما هي العقبات في الطريق، وهذا الكتاب ليس هو القول الفصل في الباب بل يجب أن يلحق به عدد كبير من الدراسات تفصّل لنا مواطن الخلل والتأثير السيء للبدع والجهل والخرافات مما يبرهن على صواب تأصيل المسار وضبطه حتى نعود لموقع الريادة كما كان أسلافنا حين استقامت أعمالهم وصحّت تصوراتهم.





إلى متى التعامي عن الخطر الحقيقي؟

قـالوا : أعلنت وزارة الداخلية البحرينية عن إحباط عملية إرهابية مسلحة كانت تستهدف مركزا للحبس الاحتياطي، لإطلاق سراح عدد من الموقوفين فيه على ذمة قضايا تتعلق بالأعمال الأمنية التي شهدتها البحرين خلال الفترة الماضية.

والمجموعة التي أعلن أنها تتكون من ٩ أفراد وتم القبض على ٨ منهم، تنتمي لما عرف بحرينيا بـ«جيش الإمام» وهي مجموعة كشف عنها الأمن البحريني في يناير (كانون الثاني) الماضي، وشهدت الساحة البحرينية مجموعة من الأعمال التخريبية التي نسبت إليها.

الشرق الأوسط ٢٠١٣/٦/٢٦

قطننا أمام حديدهم!!

قالوا : حديد الآيديولوجية الإيرانية حين اندلعت ثورة إيران، قابلته كتلة من القطن العربي الآيديولوجي الناعم، فكانت المعركة غير متكافئة ... لنتكلم بكل شفافية وصراحة، إيران قادت وتقود العالم الشيعي بكل مهنية واحترافية، ورسمت لآيديولوجيتها استراتيجية ذات مسارين، أحدهما تسويقي والثاني عسكري، والمؤسف أن العالم العربي السني في المقابل كان ولا يزال يعيش صراعا متشنجا بين تياريه الإسلامي والليبرالي، مما جعل عددا من الحكومات العربية تتحسس من كل شيء له علاقة بالدين؛ خوفا من تقوية موقع الإسلاميين، مما أصاب الجبهة الآيديولوجية مع إيران بالهزال، ولو أن الحكومات العربية تصالحت مع مبادئ الشريعة في أنظمتها وقوانينها وتعليمها وإعلامها لحققت انتصارين، الأول على جبهة منافستها مع التيارات الإسلامية، والثاني على جبهة صراعها الخطير مع إيران الذي بلغ ذروته في سوريا.

الآيديولوجية الإيرانية حديد.. ولا يفلّ حديد الآيديولوجية إلا حديد مثله.

حامد عبد الماجد –

الشرق الأوسط ٢٠١٣/٦/٢٤

من يفهم؟

قالوا : على مدى العقدين الماضيين، وأكثر، شغلت إيران وحلفاؤها في محور الممانعة والمقاومة الكاذب المنطقةَ، وبمساعدة من قبل تنظيم الإخوان المسلمين، حول خطورة القواعد العسكرية الأجنبية بالمنطقة، وهو الشعار الذي تبنته «القاعدة» بينما كانت إيران تبني أهم قواعدها العسكرية، حزب الله!

... إن منطقتنا مقبلة على انفجار طائفي خطير سببه تغول إيران، وتردد أميركا، وإهمال العرب، مثقفين وساسة ودولا على مدى سنوات في مواجهة الخطر الإيراني، وكشف حقيقة حزب الله، الذي كنا نحذر منه ونجابه بالتخوين والشتائم. هذا هو الواقع اليوم، ولحماية السلم الاجتماعي في كل منطقتنا فلا مناص من سقوط الأسد، وذلك تجنبا للانفجار الطائفي الكبير

الذي سيقضي على مفهوم الدولة بمنطقتنا.

طارق الحميد –

الشرق الأوسط ٢٠١٣/٦/٢٥

للآن لم يفهم العقيدة الشيعية!

قالوا: إيران تدغدغ عواطف الشيعة البسطاء وتصنع فيهم ومنهم مظلومية زائفة أملا في تحريكهم ضد حكوماتهم العربية بهدف إضعافها لأغراض معلومة. وإيران تعلم قبل غيرها أنه لن يسمع أحد من الشيعة لرسالتها ولن يستجيب لها أحد فيما لو غامرت وكشفت عن مرامي أجندتها الخفية في التمدد على حساب الآخرين. إيران ستبقى مرفوضة من الشيعة العرب في اللحظة التي ستتخلى فيها عن دورها المزعوم أنها راعية التشيع في العالم والمدافعة عن المذهب إلى دولة تريد الهيمنة على دول عربية تحررت من نفوذ الإمبراطورية الفارسية بفضل الفتوحات العربية الإسلامية.

طارق الهاشمي –

الشرق الأوسط ٢٠١٣/٦/٢٣

حرمة السفارة الإيرانية

قالوا: لا يوجد مجال للخطأ عند حزب الله؛ لا يحق لأحد أن يقترب من السفارة الإيرانية، فكيف بشيعة؟ لا تُترك الأمور لردة فعل عفوية؛ يتعامل أصحاب القمصان السود مع الموقف بالعصي. ... المشكلة أن المقتول شيعي أيضا... حتى كامل الأسعد مسؤول التيار لم يجرؤ على المشاركة في تشييعه، فالحزب لا يسمح بتحويله إلى «حالة»؛ هو مجرد رسالة بأن المس باحتكار حزب الله وذراعه السياسية حركة أمل للطائفة الشيعية نتيجته القتل.

ياسر أبو هلالة – الغد ٢٠١٣/٦/١٩

الطائفية على أصولها

قالوا: يزعم أنه بعث آلافا من ميليشياته لحماية المراقد وحتى «لا تغتصب زينب مرة ثانية» في حين يستنكر على السنة أن يحموا أطفالهم ونساءهم اليوم، وهذه اللحظة، وليس من قبيل الثارات التي مر عليها أكثر من ألف وأربعمائة عام. أي عقلية هذه التي تدير نصر الله، أو التي يريد أن يدير بها الناس؟! هذا الرجل إما أنه لا يعي خطر ما يرتكبه من جرائم تبقى لعشرات السنين فتنة لا تنطفئ، أو أنه يدري ولا يبالي وكل همّه إرضاء السيد الولي في طهران.

عبدالرحمن الراشد –

الشرق الأوسط ٢٠١٣/٦/١٦

هذه هي النتيجة!

قالوا: «آن لأحداث مصر الآن وسابقتها في الجزائر أن تقنع البعض أن الحكم بالإسلام لا يتوصل إليه بالديمقراطية، وفي المرفوع (لا تجني من الشوك العنب)».

الشيخ زهران علوش،

القائد العام للواء الإسلام في سوريا

بركة الانقلاب

قالوا: في خمسة أيام ذقنا ما عشناه في ثلاثين سنة من حكم مصر.

د.محمد محسوب،

تغريدة على تويتر

تعامل الإسلاميين في الخليج مع حزب الله.. قراءة في أوراق حرب ٢٠٠٦

عبد الله الرشيد - الشرق الأوسط ٢٠١٣/٧/٢

في يوم السبت الخامس من شهر أغسطس (آب) ٢٠٠٦ احتشد أكثر من ثمانية آلاف مسلم في العاصمة النمساوية فيينا للتضامن مع المقاومة اللبنانية، رافعين شعارات حزب الله، وصور زعيمه حسن نصر الله الذي احتلت خطبه الشاشات التلفزيونية، وهو يهدد «الإسرائيليين» باسم عملية (الوعد الصادق).. «أردتموها حربا مفتوحة ونحن ذاهبون إلى الحرب.. سنذهب إلى حيفا، وإلى ما بعد حيفا وإلى ما بعد ما بعد حيفا».

قبل مظاهرات الجالية المسلمة في فيينا بيوم واحد، كان خطيب جامع الشورى في العاصمة النمساوية يهتف نحو المصلين بحماسة: «واجب على كل مسلم أن يخرج من فوره ومن لحظته إلى الشارع وليُخرج معه زوجه وأبناءه؛ حتى الرضع منهم، الآن الأمة تستعيد وعيها في ظل الانتصارات المتوالية التي يحققها رجال الله أبطال حزب الله، أمام الخيانة الكبرى التي يقوم بها الزعماء العرب».

❖ **تحول مسار الخطبة**، والمظاهرات التي خرجت بسببها إلى تنديد وشجب لمواقف الحكومات العربية التي «خذلت» حزب الله، ووقفت ضده.. يواصل الخطيب هتافه الحار، يلهب حماسة المصلين ويحرضهم على الخروج.. الخروج على الحكام العرب الذين «باعوا المقاومة»، قائلا: «يحرم عليكم أن تعملوا، يحرم عليكم أن تبيعوا وأن تشتروا، يحرم عليكم كل شيء إلا أن تخرجوا وأن تفيض بكم الشوارع لإسقاط الحكام الطغاة.. وكل من يتعرض في أثناء خروجه على الحاكم الطاغي للقتل من قبل أمن الحاكم فهو شهيد، بل لعله أعلى منزلة عند الله من شهداء حزب الله؛ لأن استشهاده فيه تحرر للأمة كلها، وأما الشرطي أو رجل الأمن فهو قاتل يبوء بإثم الملايين من المتظاهرين، وليس بإثم من قتل فقط».

جاء ذلك وفقا لموقع «إسلام أون لاين» الذي نشر تغطية شاملة للخطبة التي ألقاها الخطيب الفلسطيني عدنان إبراهيم، الذي لم يكن معروفا تلك الفترة بين أوساط شباب الخليج العربي، لكنه يستصحب اليوم بينهم كثيرا كأحد نماذج الإسلام المعتدل المستنير! تشكل خطبة عدنان إبراهيم نموذجا مركزا للخطابات العاطفية التي كانت تتسيد المشهد العربي بعد قيام حزب الله في الثاني عشر من يوليو (تموز) ٢٠٠٦ باختطاف جنديين إسرائيليين من أجل مقايضتهما بأسراه اللبنانيين، الأمر الذي أدى إلى نشوب ما عرف بـ«حرب تموز» أو «الحرب الإسرائيلية على لبنان ٢٠٠٦» والتي قصفت فيها مناطق متعددة من لبنان على مدى ٣٤ يوما.

في الخامس عشر من يوليو ٢٠٠٦، صرحت السعودية وعلى لسان مصدر مسؤول بأن عملية حزب الله مغامرة غير محسوبة، في بيان نشرته

وكالــة الأنبــاء الــسعودية، يقــول: «المملكــة إذ تــستعرض بقلــق بــالغ الأحــداث المؤلمــة الداميــة الــتي تـدور الآن في فلـسطين ولبنـان تـود أن تعلـن بوضـوح أنـه لا بــد مــن التفرقــة بــين المقاومــة الــشرعية والمغــامرات غــير المحــسوبة الــتي تقــوم بهــا عناصــر داخــل الدولــة ومــن وراءهـــا، دون رجـــوع إلى الـــسلطة الـــشرعية في دولتهــا»، جــاء الموقــف المــصري الرســمي أيــضا مــشابها حيــث صــرح وزيــر خارجيتهــا بــأن عمليــة حــزب الله كانت «مغامرة غير مسؤولة».

لأجل حزب الله.. نداء من علماء الأمة

❖ في منتــصف أغــسطس ٢٠٠٦، وبينمــا كانــت المظــاهرات تجــوب العــالم العربــي مناصــرة لحــزب الله، وترفـــع راياتهـــا، وتـــشجب أيـــضا موقـــف الحكومـات العربيـة منـه، صـدر في هـذا الـسياق بيـان شــامل بعنــوان «نــداء مــن علمــاء الأمــة الإســلامية» بتوقيـــع ١٦٩ شخـــصية إســـلامية مـــن الـــسعودية والخلـيج، والعـالم الإسـلامي غـالبهم ينتمـون لجماعـة الإخــوان المــسلمين، يــدعو لــدعم ونــصرة المقاومــة اللبنانيـة، جـاء في مطلعـه: «إننـا نحـن المدوّنـة أسماؤنـا أدنـاه مـن علمـاء ودعـاة ومفكـري وسياسـي ومثقفـي الأمـة الإسـلامية، أصـدرنا هـذا البيـان إسـهاما في أداء الواجـب وإبـراء للذمّـة وشـهادةً للتـاريخ إزاء مـا يجـري مـن أحـداث في لبنـان..». كـان مـن أبـرز الشخـصيات الخليجيـة الـتي وقعـت علـى هـذا البيـان، مـن الـسعودية: عـوض القرنـي، وعلـي بادحـدح، وخالـد الـدويش، وخالـد العجيمـي، وعبـد الله الحامـد. ومـن الكويـت: أحمـد القطـان، وجاسـم مهلـهل آل ياسـين، وجمعـان الحـربش، ومــن الإمــارات: محمــد الــركن، وخالــد الشيبة، وسلطان بن كايد القاسمي.

طالــب البيــان الحكومــات العربيــة بــالوقوف مــع المقاومـة الإسـلامية في لبنـان وفلـسطين لأن «ذلـك مـن أوجـب الواجبـات الـشرعية في هـذا الزمـان». ويخاطـب البيــان حكــام العــرب قــائلا: «يــا حكّــام المــسلمين والعـرب إننـا نـستنهض همَمَكـم ونـستثير نخـوتكم ونـذكّركم بـأنّ التـاريخ لـن يـرحم وأن الـشعوب لـن تنـسى، وأن مـصير مـن مـضوا مـن الحكـام والزعمـاء عـبر التـاريخ ملـيء بـالعبر والعظـات فهـل نحـن معتبرون».

حزب الله.. صراعات صحوية مؤجلة

❖ لم يكــن موقــف الإســلاميين الــسعوديين مــن حـزب الله واحـدا، بـل كـان الجـدل حولـه مـن أكثـر نقـاط الافـتراق الـتي أعـادت فـرز مـشهد الاصـطفاف الإسـلامي الحركـي الـسعودي، وتلـوين مكوناتـه مـن جديــد، فمنــذ الحــادي عــشر مــن ســبتمبر (أيلــول) ومعــالم الــصحوة التقليديــة بــدأت تــتغير شــيئا فــشيئا إلى أن جــاءت «حادثــة حــزب الله» وحــسمت الفروقــات والتمايزات.

كــان التيــار الــسلفي بكافــة اتجاهاتــه التقليديــة، والعلميـة، والحركيـة، يقـف موقفـا عقائـديا مبكـرا مـن حـزب الله، وإيـران، ويرتكـز إلى تـراث تـاريخي طويـل يؤسـس لعـدم الثقـة بالطائفـة الـشيعية ويـرفض مـشاريعها جملـة وتفـصيلا حتـى لـو كانـت مـن أجـل مقاومـة «العـدو»، ولـذلك جـاء الموقـف مباشـرا حاسمـا بـلا تـردد بعـد عمليـة حـزب الله، فتمـت إعـادة نـشر الفتـــوى الـــشهيرة للـــشيخ الـــسلفي المقـــرب مـــن الحـــركيين عبـــد الله بـــن جـــبرين الـــتي صـــدرت في الأصـل عـام ٢٠٠٢، وقـال فيهـا بأنـه «لا يجـوز نـصرة هــذا الحــزب (الرافــضي)، ولا يجــوز الانــضواء تحــت إمــرتهم، ولا يجــوز الــدعاء لهــم بالنــصر والــتمكين، ونــصيحتنا لأهــل الــسنة أن يتــبرأوا مــنهم وأن يخــذلوا مـــن ينـــضموا إلـــيهم وأن يبينـــوا عـــداوتهم للإســـلام والمسلمين».

لحقـه بعـد ذلـك الـشيخ ناصـر العمـر- أحـد رمـوز الـسروريين في الـسعودية - حيـث تحـدث عـبر موقعـه (المـسلم) في يوليـو ٢٠٠٦ عـن حـزب الله، الـذي يـسميه «حــزب الــلات/ حــزب الــشيطان»، قــائلا عنــه: «لا يقـاوم باسـم أهـل الـسنة في فلـسطين، بـل هـو أداة بيـد الحـــرس الثـــوري الإيرانـــي»، وصـــرح عـــبر قنـــاة «الجزيـــرة» حينهـــا قـــائلا: «إن إســـرائيل، وأميركـــا، وإيران هم أعداء الأمة الإسلامية على السواء».

اكتسح الموقف السلفي المبكر من حزب الله المشهد، قنوات ووسائل إعلامية كثيرة تداولت بالخصوص فتوى الشيخ ابن جبرين، وصدرت بيانات ومواقف كثيرة من اتحادات إسلامية، للرد على الفتوى ورفضها. نشر موقع قناة «الجزيرة» الفضائية خبرا في ٣٠ يوليو ٢٠٠٦ عنوانه «دعاة مسلمون يرفضون فتاوى سعودية ضد حزب الله»، جاء في مطلعه: «تواصلت ردود الأفعال الإسلامية الرافضة لفتاوى بعض علماء السعودية التي تدعو إلى عدم جواز نصرة حزب الله بمواجهة الاعتداءات الإسرائيلية الأخيرة ضد لبنان، على اعتبار أنه حزب شيعي يخوض حربا لمصلحة إيران.. وتأتي ردود الأفعال هذه بعد أيام من إصدار الشيخ السعودي عبد الله بن جبرين فتوى فحواها تحريم تأييد حزب الله في حربه مع إسرائيل».

كان نتيجة لذلك أن أصدر الشيخ ابن جبرين بيانا توضيحيا حول فتواه المتداولة، ووصف الأحداث الجارية في لبنان بـ«الفتنة الشيطانية»، اعتبر البعض ذلك الموقف تراجعا، والبعض الآخر اعتبرها تأكيد إضافيا على موقفه السابق.

ففي الأول من شهر أغسطس ٢٠٠٦ نشر موقع الشيخ ابن جبرين فتوى، جاء سؤالها كالتالي: «نشر أحد مواقع الإنترنت فتوى منسوبة إليكم تتعلق بحزب الله اللبناني، فهل تصح نسبة هذه الفتوى لكم؟».

أكد ابن جبرين في إجابته على هذا السؤال أن هذه «الفتوى قديمة صدرت في تاريخ ٧ / ٢ / ١٤٢٣ هـ». وقال: «هي لا تتعلق بما يسمى حزب الله فقط، فنحن نقول: إن حزب الله هم المفلحون.. أما هؤلاء فهم ليسوا من حزب الله، وذلك لأنهم يكفرون أهل السنة، ويكفرون الصحابة.. لكن إذا وجد حزب لله تعالى ينصرون الله وينصرون الإسلام في لبنان أو غيرها من البلاد الإسلامية، فإننا نحبهم ونشجعهم وندعو لهم بالثبات، وحيث إن الموضوع الآن موضوع فتنة وحرب بين اليهود وبين من يسمون حزب الله، واكتوى بنارها المستضعفون ممن لا حول لهم ولا قوة، فنقول لا شك أن هذه الفتنة التي قام بها اليهود وحاربوا المسلمين في فلسطين وحاربوا أهل لبنان أنها فتنة شيطانية».

في ذات السياق كان هناك منتدى إلكتروني شهير في السعودية حينها وهو «الساحات العربية» تدور فيه رحى سجالات طويلة حول «الموقف من حزب الله»، و«هل يصح الوقوف معه في معركته ضد اليهود؟».. أم أن «حزب الله وإسرائيل في العداوة سواء؟»، توحدت صفوف الشباب السلفي بكافة أطيافه في موقف واحد رافض معاد لحزب الله أو الوقوف معه أو تأييده يعود ذلك لمنطلقات عقائدية تنطلق من الموقف من المذهب الشيعي، وموقف سياسي من ولاء الحزب لإيران.

ونحن إذا رجعنا إلى الكتابات المؤسسة للفكر السلفي السروري على وجه التحديد، نجد أن المسألة كانت محسومة بشكل مبكر، ففي كتاب «أمل والمخيمات الفلسطينية» الصادر عام ١٩٨٦، ضمن الإصدار الثاني من سلسلة «وجاء دور المجوس» من تأليف عبد الله محمد الغريب، وهو كان اسما مستعارا لمحمد سرور زين العابدين، من تنسب إليه السلفية الحركية السرورية، قال فيه ص ١٨١ «ولد هذا الحزب من رحم حركة أمل الشيعية اللبنانية المدعومة من إيران. قد تسمى بدايةً باسم أمّه (حركة أمل الشيعية) فتسمّى بـ(أمل الإسلامية) رغبةً في توسيع نطاقه ليشمل الأمّة الإسلامية، ونظرا لما اقترنت به (حركة أمل الشيعية) من أعمال وحشية وجرائم بشعة لا تخوّل وليدها (أمل الإسلامية) من تسلم مهام الدفاع عن الأمة، وخشيةً من هذا فقد كُوّن حزبٌ جديد، وهو ما يُعرف اليوم بـ(حزب الله)».

يضيف عبد الله الغريب أو محمد سرور مؤكدا: «ويبدو أن حزب الله أُعِدَ ليكون فخًا لأهل السنة من اللبنانيين والفلسطينيين، فظاهره جهاد أعداء الإسلام من اليهود والنصارى وحقيقته احتواء من قد يُخدعون بشعارات الرافضة».

ولذلك جاءت مواقف ناصر العمر، وسفر

الحوالي الذي أفتى أيضا «بحرمة الدعاء لحزب الله بالنصر أو تقديم أي نوع من الدعم له في حربه مع إسرائيل»، امتدادا لهذه المواقف التقليدية الصحوية من حزب الله، أو من المشاريع الشيعية على العموم.

الخروج عن الصمت.. والتأييد

❖ لكن في الضفة الصحوية الأخرى كانت هناك معالم موقف معارض تتشكل، صمتت في بداية الأمر، حيث وجدت نفسها في موقف حرج بين طرفين، بين المكون السلفي الذي تنطلق منه، والعاطفة الإسلامية السائدة في العالم العربي التي كانت تتضامن بقوة مع حزب الله وحربه ضد إسرائيل.

يشير إلى ذلك الصحافي السعودي فارس بن حزام في مقال له بصحيفة «الحياة» في ٢٥ أغسطس ٢٠٠٦ قائلا إن الجدل الدائر في السعودية طوال حرب لبنان حول حزب الله قد «كشف القناع للمرة الأولى عن خلاف حاد بين تيارين إسلاميين في الوسط السعودي جراء الموقف من حزب الله.. فالجدال هذه المرة لم يكن بين ما يعرف بـ(السرورية) وهي (السلفية) المتمثلة في (الصحوة) من جانب، وتيار (الإخوان المسلمين) من جهة أخرى، مثل سجالات طويلة ومعارك صغيرة وكبيرة معتادة. الجدال هذه المرة جاء بين (الصحوة) و(الصحوة)، فبرز أكثر وأكثر تيار (الصحوة الجديدة) عن (الصحوة التقليدية)، ولكل رموزها ونجومها. والخلاف في حقيقته ليس مرتبطا بالموقف من حزب الله، ولكنه متعمق في الفكر السياسي والثقافي بين الفريقين، فوجد الفرصة ليتجلى في هذه الحرب».

كان هذا الموقف الآخر الجديد يجمع بين طياته شخصيات سرورية سابقة، وأخرى محسوبة على فكر جماعة الإخوان المسلمين، حاولت أن توفق بين تراثها، وبين اتجاه جماعة الإخوان الداعم بقوة لحزب الله، فتوصلت إلى موقف يقول في مجمله «إننا نختلف اختلافات عميقة مع حزب الله، ولكن هذا ليس وقتا لإثارة الخلافات الطائفية، والمحاسبة العقائدية، وإنما يجب علينا أن نقف صفا واحدا مع إخواننا المسلمين من أهل القبلة/ الشيعة ضد العدو المشترك إسرائيل».

عبر عن هذا الموقف بوضوح الشيخ سلمان العودة - الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين - في حلقة من برنامجه الأسبوعي «الحياة كلمة» على قناة «MBC» بتاريخ ٢١ يوليو ٢٠٠٦ حين سأله أحد المتصلين عن رأيه في موقف السعودية الرسمي من عملية حزب الله، فأجاب بأنه لم يطلع عليه - على الرغم من انه كان حديث الناس - ، ولكنه أضاف موضحا «إننا نختلف مع حزب الله، وهو خلاف جوهري وعميق كما هو خلافنا مع الشيعة الذي لا يمكن أن يلغى، لكن هذا الوقت ليس وقت الخلاف والشقاق، فعدونا الأكبر هم اليهود والصهاينة المجرمون الذين لم يفرقوا في عدوانهم حتى بين الأطفال والمحاربين».

وتحت عنوان «الموقف من حزب الله» أجاب عضو هيئة التدريس بجامعة الملك عبد العزيز بجدة الدكتور علي بادحدح - أحد الإسلاميين المحسوبين على فكر الإخوان في السعودية - عن سؤال وجه له بهذا الخصوص بحسب ما نشره موقع (إسلاميات) مطلع أغسطس ٢٠٠٦، حيث قال: «إن إلحاق الضرر بالعدو الصهيوني، وكل أذى ونكاية في هذا العدو مطلوب ومرغوب. فالوقت الحالي ليس وقتا مناسبا للمحاسبات المذهبية أو الطائفية بل هو وقت ينبغي فيه التركيز على العدو الأكبر الذي يهلك الحرث والنسل ويهدد البلاد والعباد».

وفي تحقيق نشره موقع (العربية نت) في الثامن من أغسطس ٢٠٠٦ حول تداعيات حرب لبنان، والجدل حول حزب الله، صرح الدكتور عوض القرني ـ أحد رموز الإسلاميين المحسوبين على فكر الإخوان في السعودية - قائلا: «إننا قد نختلف مع حزب الله أو مع غيره، ولكن خلافنا معه لا يسوغ لنا ألا نقف معه في دفاعه عن الأمة

ودفع الظلم والعدوان عن الشعب اللبناني كله وليس عن الحزب فقط، ولو كان الظلم والعدوان الذي يقع على الشعب اللبناني يقع على هندوسي أو بوذي لوجب علينا أن ندفعه عنهم ولا نرضاه».

أما الدكتور حاكم المطيري – أحد رموز السلفية الحركية في الكويت - فقد أصدر بيانا صريحا في الثامن من أغسطس ٢٠٠٦ عنوانه (بيان في وجوب نصرة المقاومة في لبنان) قال فيه: «يظهر من عموم نصوص الشريعة وقواعدها ومقاصدها وجوب دعم المقاومة في جنوب لبنان بكل ما تستطيع الأمة تقديمه من دعم بالمال والنفس والكلمة وهو نوع من أنواع الجهاد، والقتلى فيها من المسلمين شهداء على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم، لهم أحكام الشهداء الدنيوية من حيث أنهم لا يغسلون ولا يصلى عليهم ويدفنون في ثيابهم». وأضاف مؤكدا: «إن السياسة الشرعية تقضي الوقوف مع المقاومة اللبنانية مهما كان الموقف منها ومن قياداتها ـ في نظر البعض ـ إذ القتال الدائر بينها وبين إسرائيل لا يدع مجالا للتوقف أو الحياد».

كما أصدر في ذات السياق حزب الأمة الكويتي (محظور) بيانا في ١٣ يوليو ٢٠٠٦ يدعو فيه إلى دعم المقاومة اللبنانية لمواجهة الاعتداءات الصهيونية المتكررة على الشعب اللبناني وانتهاك دائم لسيادته على أراضيه.

حسن نصر.. الداهية!

❖ أما الدكتور السعودي محسن العواجي - أحد الإسلاميين المستقلين - فخرج عن صمته بعد ١٣ يوما من المعارك الدائرة في لبنان بين حزب الله وإسرائيل، فأعلن تأييده لحزب الله وزعيمه حسن نصر الله عبر موقعه الشخصي في ٢٤ يوليو ٢٠٠٦ بمقال عنوانه (اللهم انصر المقاومين الأبطال واشدد وطأتك على المعتدين الأنذال)، قال فيه إنه من السذاجة النظر إلى حزب الله في هذه الأزمة تحديدا نظرة طائفية مجردة خاصة، موضحا أن «العدوان الصهيوأميركي الأخير على لبنان كشف عمق المآسي الفكرية المحتقنة في المجتمع المسلم محليا وإقليميا، قد يقبل من البعض تأجيل اتخاذ الموقف كون الأمر في غاية التعقيد واللبس، ولكن لا قبول البتة للحياد التام أو الصمت المطلق تجاه ما يجري من عدوان صارخ على الحرمات والممتلكات».

ووصف محسن العواجي في مقاله حسن نصر الله، زعيم حزب الله بـ«الداهية سياسيا والشجاع ميدانيا مهما اختلفنا معه»، مؤكدا أن «حزب الله في لبنان اليوم في عين الشارع الإسلامي شكل رأس حربة فعالة تثخن العدو وتقاوم زحفه ببسالة».

وفي تقرير نشره موقع (إسلام أون لاين)، يعلق المحرر على موقف العواجي قائلا: «لم يكن العواجي هو فقط من خرج عن صمته، حيث بدأ عدد من العلماء السعوديين يعلنون عن مواقفهم من العدوان الإسرائيلي، داعين الله أن ينصر حزب الله على (الصهاينة المجرمين). فقد أعلن الشيخ السعودي محمد بن يحيى النجيمي - أستاذ الفقه بالمعهد العالي للقضاء - تأييده الكامل لحزب الله. وقال خلال حديث بثته قناة «المستقلة» السبت ٢٢ يوليو ٢٠٠٦: إنه لولا حزب الله لما كانت بيروت إلا نسخة مصغرة من مستوطنات إسرائيلية كما هو الحال في الجولان والضفة الغربية المحتلة. وبين الشيخ النجيمي أن ما تقوم به إيران من دعم سياسي لحزب الله هو واجب على كل مسلم. وقال: «إن إيران ربما تدعم حزب الله سياسيا وهذا واجب على كل مسلم، لكنها لا تدعمه لا بالسلاح ولا بالمال». وفي رد على الرأي الشائع بين التيار السلفي، بأن حزب الله ومقاومته ليست سوى مجرد «تمثيلية»، بينما حزب الله وإيران هما مجرد خادم وحام لمصالح إسرائيل، صرح الشيخ حاتم الشريف العوني - أستاذ السنة بجامعة أم القرى في مكة المكرمة - لموقع (الإسلام اليوم) في ٣ أغسطس ٢٠٠٦ قائلا: «الواقع يرفض مثل هذه الأقوال، فالمقاومة اللبنانية ليست تمثيلية»، موضحا أن هذه الأقوال التي تشيع في السعودية لن يتقبلها الناس في الخارج «فلا ينبغي أن نُسقط أنفسنا أمام العالم

الإسلامي بهذا الطرح المعارض للمشاهد أمامهم، فلنصمت إذا لم ندعم المقاومة اللبنانية». وقال مضيفا: «إن قضية حزب الله عادلة ويكفي أنهم أمام إجرام اليهود أعدى أعدائنا، فهم يستحقون الوقوف معهم في هذا الظرف خاصة، وعلينا أن نؤجل خلافاتنا معهم إلى أن ننتهي من هذا الظرف لنبدأ بحوارهم ودعوتهم لإقامة الحجة عليهم».

كتاب في حقيقة حزب الله

❖ ومن أجل التأصيل والحشد للموقف الإسلامي الخليجي المتضامن مع حزب الله، أو «المتسامح» معه على الأقل صدر في سبتمبر ٢٠٠٦ كتاب بعنوان (حزب الله.. بين الحقيقة والأهداف) عن (مركز الراية للتنمية الفكرية بجدة) جمع آراء ومواقف الإسلاميين في السعودية والخليج، والعالم العربي في مقدمتهم الشيخ يوسف القرضاوي، إضافة إلى عدد من أبرز الشخصيات الإسلامية في السعودية المحسوبة على فكر الإخوان المسلمين، مثل الشيخ عوض القرني، والشيخ علي بادحدح، والدكتور موسى الشريف. ومن خلال تصفح الكتاب يتضح أنه تجميع سريع لمقالات، وحوارات وتقارير صحافية نشرت في الإنترنت حول هذه القضية. تحدث في مطلع الكتاب الدكتور علي حمزة العمري - واحد من الناشطين الشباب المحسوبين على فكر الإخوان المسلمين، في السعودية، ورئيس منظمة فور شباب - بمداخلة عنوانها (لبنان في العين والقلب وعلى الرأس)، وفيها قال: «خلاصة الموقف الحالي وجوب التلاحم والتناصر والتعاضد أمام العدوان اليهودي والأميركي في لبنان، فالمعركة حقيقية، وهي معركة صراع وتصفية للشيعة ولأهل السنة سواء، لأنهم الآن في خندق واحد، ومقاومة واحدة».

وفي ختام مداخلته وجه كلامه إلى من سماهم «تلاميذ المقاومة المسلمين» قائلا: «لا نريد اعتذارا، نريد أن ترفعوا السلاح، نريد أن تهزوا أركان المجرم اليهودي، أسمعوه دوي القنابل والرصاص، أروه اللون الأحمر القاني، ادفعوا بأبنائكم إلى ساحات الوغى، لن نرضى منكم إلا صوت الحرية».

خدعة التحليل العقدي

❖ في حموة تلك النقاشات الساخنة حول المقاومة اللبنانية وحزب الله، والتناقل العالمي لفتوى الشيخ ابن جبرين، وناصر العمر ضد حزب الله، ألقى الدكتور محمد الأحمري بحجر في بركة رفاقه «السروريين» القدامى، معلنا انحيازه بوضوح للضفة الأخرى التي كانت تضم مجموعة من الإسلاميين المستقلين، وشخصيات محسوبة على فكر الإخوان المسلمين، فكتب مقالا يشاع كثيرا أن المقصود به كان الشيخ ابن جبرين، والشيخ ناصر العمر، جاء المقال بعنوان (خدعة التحليل العقدي)، نشره في موقعه الذي يشرف عليه (مجلة العصر) في ٤ أغسطس ٢٠٠٦ يتهجم فيه على «العقلية السلفية» التي تتعاطى مع الأحداث السياسية بمنطلقات عقائدية، فهي تعاني «من القصور، والتعصب وقصر النظر.. لأن المحلل العقدي يؤمن بأنه على الحق دائما، وأن النصوص معه تؤيده وتحفزه وتحدد أطراف المعركة بدءا بالتوراة والإنجيل ثم القرآن إلى نصوص ماركس. ويعاني من استسلام غير واع للنصوص وللأفكار التي يسيء فهمها».

أثار مقال الأحمري الكثير من الردود والجدل والخلاف، انبرى موقع (المسلم) الذي يشرف عليه الشيخ ناصر العمر للرد على الأحمري، نشرت مقالات متعددة منها (خدعة التحليل السياسي) لبندر الشويقي، ومقال بعنوان (وقفة مع الدكتور محمد الأحمري) لإبراهيم الأزرق وغيرها، لكن الأحمري استمر مؤكدا على موقفه فنشر مقالا في منتصف يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٧ بعنوان (من حصاد التحليل العقدي) قال فيه لمن اختلفوا معه بلغة لا تخلو من التهكم: «للنظر السياسي يا إخواننا تقسيمات أخر، بعضها من بضاعتكم وبعضها تقع خارج ثقافتكم».

يتفرع الخلاف السروري مع الأحمري من نقطة جوهرية تتمثل في انحياز الأحمري الواضح تجاه إيران، وإشادته بنموذجها الديمقراطي، وهذا ما يختلف معه قطاع عريض من الإسلاميين السلفيين، فالأحمري صرح في حديث لموقع (الإسلام اليوم) بعد حرب حزب الله في لبنان، في ٥ مايو (أيار) ٢٠٠٧، قائلا: «إيران لديها دولة واعية منتخبة تمثل الناس، وتمثل الشعب، لديهم حكم ديمقراطي قوي، واستطاعت عقولهم القائدة أن تكسب في كل مكان».

تلك شهادات وبيانات ومواقف لا تزال عالقة في ذاكرة ٢٠٠٦، بدأت تتقلص شيئا فشيئا منذ أن قام حزب الله في ٢٠٠٨ باجتياح بيروت، ثم تحولت إلى مواقف مضادة صريحة في عام ٢٠١٣ بعد أن أصبحت ميليشيا حزب الله بجانب قوات بشار الأسد تقاتل الثوار السوريين.

وبين تلك الحقبة واليوم، لكل شخص طريقته الخاصة في التعبير عن التحول أو التراجع وربما الاعتذار.

٢٠١٣ ... موقف مختلف من حزب الله

❖ «لم يعد يخدعنا حزب الله، لقد ظل لسنوات طويلة يخدع العالم الإسلامي بصورة زائفة حول نبذه للطائفية ومواجهته لإسرائيل على غير الواقع». سلمان العودة (موقع الإسلام اليوم) ٢٠١٣/٥/٢٥.

❖ «حسن نصر الله يستغفل من! حين يزعم أنه يدفع بالمزيد من المقاتلين لسوريا لمنع سفك دماء الشعب السوري (إذا لم تستح فاصنع ما شئت)!». عوض القرني ٢٠١٣/٦/١٥ (حسابه الشخصي في تويتر).

❖ «حزبُ الله يقاتلُ إخواننا ويزعمُ سيدهُ أنّ قتالهم إنما هو لمواجهة الكيان الصهيوني وحماية المقاومة!» علي بادحدح (موقع إسلاميات) ٢٠١٣/٦/٢.

❖ «نعم تراجعت.. وحسن نصر الله طائفي يعمل وفق المشروع الإيراني» محسن العواجي (قناة فور شباب) ٢٠١٣/٦/١.

❖ «أطالب المؤيدين لحزب الله بالتبرؤ منه، وعدم الانخداع بشعاراته البراقة» محمد النجيمي، «عكاظ» الأسبوعية ٢٠١٣/٦/١٤.

❖ «إننا ندعو الأمة كلها إلى مقاطعة إيران، وذراعها المجرم حزب الله». بيان صادر عن حزب الأمة الكويتي ٢٠١٣/٥/٣٠.

❖ «كل إنسان شريف يحترم كل مقاومة شريفة، وبخاصة التي لم تتلطخ بدم الأبرياء، وكان هذا هو السبب في تعاطف الناس مع حزب الله فيما مضى، فلما انعطف التوجه فتغير، فستتغير النظرة».
محمد الأحمري، معلقا على اجتياح حزب الله لبيروت ٢٠٠٨ (مجلة العصر) ٢٠٠٨/٥/١١.

❖ «لماذا يا حزب الله، وأنت لديك هذا التاريخ المشرف من المقاومة والنضال، لماذا دخلت إلى المستنقع السوري، هل بشار الأسد وجيشه محتاج إليك.. هذا عتب مر وشديد لإخواننا في حزب الله، أتمنى أن يسمعوه وينفعهم الله»
عدنان إبراهيم، خطبة الجمعة ٢٠١٣/٦/٧ (حسابه الشخصي على يوتيوب).

❖ «لقد ضحكوا علي، وخدعت بهذا الحزب.. وعلماء السعودية كانوا أنضج مني وأعرف بحقيقة هذا الحزب».
الشيخ يوسف القرضاوي ٢٠١٣/٦/١ قناة «الجزيرة» الفضائية.

كيف تعمل الاستخبارات الإيرانية في تركيا؟

علي حسين باكير - مجلة المجلة ٢٠١٣/٦/٢٨

حرب باردة

ألقى جهاز الاستخبارات التركي القبض على عدد من الإيرانيين اتهمهم بدفع مظاهرات موازية لتلك التي حصلت في «ميدان تقسيم» في اسطنبول للاصطدام مع القوى الأمنيّة بهدف تأجيجها، وقد تم تسفير هؤلاء الإيرانيين على الفور.. فماهي تفاصيل الحكاية؟

لم يسبق أن شهدت العلاقات التركيّة – الإيرانية فتورًا بل حربًا باردة كتلك التي تشهدها اليوم، على الأقل خلال عهد حزب العدالة والتنمية الذي صعد إلى الحكم في نهاية العام ٢٠٠٢. أمّا على المستوى الشعبي، فربما هي المرة الأولى التي يسجل فيها للشعب التركي اتخاذه موقفاً شديد السلبية من إيران، وهو الذي كانت شريحة واسعة فيها لا تخفي تعاطفها مع إيران لعقود طويلة.

المتابع للصحافة التركيّة والإعلام التركي قد يفوته أنّ انتخابات دولة مجاورة بحجم الانتخابات الإيرانية قد وقعت! وأنّ روحاني فاز في الانتخابات. صحيح أنّ البعض قد يعزو الفتور الواضح في تناول هذه الانتخابات والنتيجة التي أسفرت عنها إلى انشغال الأتراك مؤخرًا بالتطورات التي فاجأتهم على صعيد الجبهة الداخلية، إلا أنّ المثير أن إيران التي كانت غائبة عن تركيا في موضوع الانتخابات كانت حاضرة في موضوع آخر!

إذ ألقى جهاز الاستخبارات التركي القبض على عدد من الإيرانيين (حوالي ١٢ فردًا) اتهمهم بدفع مظاهرات موازية لتلك التي حصلت في «ميدان تقسيم» في اسطنبول للاصطدام مع القوى الأمنيّة بهدف تأجيجها، وقد تم تسفير هؤلاء الإيرانيين على الفور في ظل حرص على التكتّم على الموضوع قدر المستطاع، وإتمامه دون ضوضاء حتى لا يؤدي ذلك إلى ردّة فعل شعبية كما نقلت بعض المصادر بشكل يؤدي إلى تدهور متزايد في العلاقات الدبلوماسيّة بين البلدين.

لقد أعاد هذا الحدث تسليط الضوء على طبيعة عمل الاستخبارات الإيرانية في تركيا، وعن طبيعة دور الخلايا النائمة التي تزرعها إيران هنا وهناك. إذ تشير المعلومات إلى أنّ الاستخبارات الإيرانية تستثمر بشكل أساسي في توظيف عملاء لها داخل تركيا في قطاع المال والسياحة والإعلام والمجالات الثقافية والدعارة؛ لأن كل قطاع من هذه القطاعات له تأثير معين على قطاعات الدولة الأساسيّة أو على الحكومة والرأي العام في تركيا، ناهيك عن نجاحها في توظيف عناصر من بيئات وأيديلوجيات مختلفة، بل متناقضة في كثير من الأحيان كعناصر من حزب العمّال الكردستاني، وعناصر من الطائفة العلويّة، وعناصر من الإسلاميين المحافظين، وعناصر من اليسار المتطرف.

حتى العام ٢٠١٢، كانت الرؤية التركيّة للسياسات الإيرانيّة في المنطقة بشكل عام مشوبة بالضبابية في أحسن الأحوال. صحيح أنّ شريحة لا بأس بها في مختلف المستويات (الثقافية، والاجتماعية، والإعلامية، والبحثية والأكاديمية) كان لديها تصوّر واضح عن الطبيعة السلبيّة لهذه السياسات في المنطقة، لكنها كانت تفضّل تجنّب الحديث عن الموضوع على مستوى النقاش العام؛ نظرًا لما يمكن أن تتعرّض له من ضغوط وانتقادات.

التصوّر التركي العام إزاء إيران

أذكر أني التقيت مع أحد محرري أكبر الصحف التركية المعروفين في العام ٢٠١٠، وكذلك مع مدير إحدى وكالات الأنباء التركيّة، وقد تفاجأت من مدى معرفتهم واطلاعهم على حقيقة السياسات الإيرانية السلبيّة مقارنة بأقرانهم الأتراك، وعندما سألتهم عن سبب الإحجام عن رفع هذا التصور إلى مستوى النقاش العام، كان جوابهم أنّ الكتابة أو الحديث عن إيران بهذا الشكل يعرّض صاحبها لانتقادات عنيفة من الرأي العام، لاسيما من الشريحة الإسلاميّة المحافظة، والتقليدية، ولوبي المصالح والتابعين والمؤيدين لإيران، بل وحتى اليساريّين!

ومنذ تلك الفترة وحتى بداية اندلاع الثورة السورية، عندما كنّا نناقش مع الزملاء الباحثين والأكاديميين الأتراك، بل وحتى مع العديد من الشخصيات الرسميّة التركيّة موضوع الخطر الذي تمثّله السياسات الإيرانية على المنطقة برمّتها، كان الجواب ينطوي على إشارة بأن العرب عمومًا يضخّمون الخطر الإيراني وسلبيات السياسة الإيرانية، وأنّه من غير الممكن أن تكون إيران بهذا السوء.

لكن بالعودة إلى نفس الشخصيات اليوم، بدا أنّ هناك انقلابًا على مستوى الموقف من إيران، بل إنّ هذا التحول لم يبق محصورًا في هذه الدائرة، وإنما انعكس بدوره على مستوى الرأي العام التركي أيضًا.

معالم التحوّل في التصوّر التركي من إيران

أظهرت نتائج استطلاع للرأي نشره مركز زغبي للأبحاث في آذار ٢٠١٣، ارتفاع النظرة السلبية في تركيا تجاه إيران بشكل كبير خلال السنوات الماضية مقارنةً باستطلاع مماثل كان المركز أجراه في عام ٢٠٠٦، مما يشير إلى حصول تحوّل في الرأي العام التركي إزاء إيران والسياسات الإيرانية في المنطقة. ويمكن توزيع أهم نتائج الاستطلاع على ثلاثة محاور:

أولاً- على صعيد العلاقات الثنائية والنموذج السياسي: ٩٥٪ من الأتراك يرون أن علاقة بلادهم مع إيران سلبية، و٧٤٪ يرفضون تقارب بلادهم مع إيران أكثر، و٩٠٪ لا يوافقون على مقولة أن إيران قد تكون نموذجًا يحتذى به، و١٦٪ فقط يرون أنها تتبع سياسات تؤدي إلى الاستقرار في الجوار.

ثانياً – على صعيد السياسات الطائفيّة في المنطقة: ٦٣٪ من الأتراك يرون أن الثورة الإيرانية جعلت المنطقة أقل استقرارًا، و٨٨٪ يرون أن إيران تتّبع أجندتها الإقليمية الخاصة التي تناسب مصالحها، و٧٨٪ يرونها مسئولة عن السياسات الطائفية في العالم العربي، و٨٠٪ يرون أن دول الخليج العربية على حق عندما تقلق من وجود إيران نووية.

ثالثًا – على صعيد البرنامج النووي: ٨٧٪ من الأتراك يرون أنّ طموح إيران النووي غير سلمي، وأنّ الهدف النهائي لبرنامجها النووي هو إنتاج قنبلة نووية. كما يوافق ٦٨٪ منهم على استمرار العقوبات الاقتصادية على إيران إذا ما استمرت في برنامجها النووي، فيما يؤيد ٥١٪ من الأتراك بشكل عام و٥٦٪ من الأتراك السنّة توجيه ضربة عسكرية لإيران بسبب برنامجها النووي إذا استمرت في العناد ومواصلة برنامجها النووي رغم العقوبات الاقتصادية، علما أنّ نسبة الموافقين على هذا الخيار من الأتراك كانت تساوي ٢٧٪ فقط في العام ٢٠٠٦.

أسباب التحوّل في التصور التركي من إيران

أمّا أسباب هذا التحوّل، فهي تنطوي على بعدين أساسيّن. البعد الأوّل هو بعد داخلي يرتبط بشكل خاص بالاختراق الإيراني الأمني والاجتماعي والإعلامي لتركيا. والبعد الثاني هو بعد إقليمي يرتبط بالمواقف والسياسات الإيرانيّة في كل من العراق وسوريا ولبنان ومنطقة الخليج العربي.

١- **على الصعيد الأمني:** الأتراك حسّاسون جدًا إزاء أي موقف أو عمل يرتبط بشكل مباشر أو غير مباشر بعمليات حزب العمّال الكردستاني، وهناك قناعة راسخة لدى الأتراك منذ تفاقم الأزمة السوريّة بأن هناك دعماً مسلّحًا من قبل إيران لعمليات الحزب داخل تركيا لزعزعة أمن واستقرار البلاد، ولابتزازها سياسيًّا فيما يتعلّق بتطوّر الملفات الإقليميّة لاسيما سوريا والعراق.

وقد عزّز من هذه القناعة لاحقًا إلقاء جهاز مكافحة التجسس التركي التابع للشرطة التركية القبض في آب وأيلول ٢٠١٢ على شبكتي تجسس في البلاد تعملان لصالح إيران. وتضم الأولى إيرانيين اثنين ومواطنًا تركيًا، عُثر معهم على معلومات وصور أرشيف إلكتروني يحتوي على عناصر تمسّ أمن الدولة التركية، وقد قادت التحقيقات إلى إلقاء القبض على جاسوس إيراني في الحرس الثوري يعمل على التنسيق مع حزب العمّال الكردستاني داخل الأراضي التركيّة، وأدّت اعترافاته إلى إلقاء القبض على ٩ آخرين بينهم إيرانيّان.

في شهر أيار ٢٠١٣، كشف عدد من التقارير قيام قوات الأمن التركيّة بالقبض على ٢٤ شخصًا في أقصى شرق تركيا بتهمة التجسس لصالح إيران بينهم ١٠ نساء إيرانيات كانوا قد نقلوا معلومات حسّاسة ووثائق تتعلق بأسرار الدولة التركية عبر إقامة علاقات «متعة» مع مسئولين أمنيين رفيعي المستوى في أجهزة الأمن والشرطة والجيش.

ومؤخرًا تم إلقاء القبض على عدد من المواطنين الإيرانيين بتهمة استغلال بعض الأحداث من أجل الدفع إلى صدامات بين القوى الأمنيّة والمتظاهرين الأتراك، ناهيك عن شكوك بوقوف إيران بشكل مباشر أو غير مباشر وراء عدد من العمليات الأمنيّة التي تستهدف الأمن القومي التركي كعمليات تهريب القائد في تنظيم القاعدة سليمان أبو غيث إلى تركيا، وعملية استهداف السفارة الأمريكية من قبل «جبهة التحرير الشعبيّة الثورية» اليسارية المتطرفة في شباط الماضي، بالإضافة إلى عملية الريحانيّة والتي ذهب ضحيتها عدد كبير من المواطنين الأتراك.

٢- **الاختراق الإعلامي:** لم يكن شائعًا في تركيا من قبل الإشارة إلى وجود لوبي إيراني في البلاد. لكن منذ أن بدأت العلاقات الثنائيّة تشهد تدهورًا ملحوظًا مترافقًا مع ازدياد تأثير النفوذ الإيراني في تركيا في السنوات الأخيرة، أصبح هذا المصطلح شائعًا.

ويضمّ هذا اللوبي صحفيين وإعلاميين وأكاديميين

ومثقفين وسياسيين أيضًا سواء موالين أيديولوجيًا (مؤيد للثورة الإيرانية) أو طائفيًا (في هذه الحالة العلوية) أو سياسيًا (يدعم اتجاه السياسات الإيرانية حول الممانعة) أو المتعاطفين والأنصار والمنتفعين مصلحيًا. والغريب أنّ بعض عناصر هذا اللوبي لا سيما الإعلامية والصحفية منها تخترف صحفًا تصنّف على أنّها قريبة من الخط الحكومي أو محسوبة عليه، في موازاة صحف أخرى ذات طابع يساري، وصحف محسوبة على المعارضة السياسيّة.

ويستهدف هذا اللوبي مؤخرًا التأثير على الرأي العام التركي، وهو فاعل في هذا المجال، حيث تستطيع أن تجد سيلاً من المقالات والتقارير المقروءة والمسموعة والمتلفزة التي يكتبها المحسوبون على هذا اللوبي في الإعلام التركي.

ولا يقتصر عمل هذا اللوبي على بلورة خطابه بما يناسب الأجندة الإيرانيّة، بل إنّ عمله يستهدف القرار السياسي للحكومة التركية أيضًا، وهو إن لم يحقق كل أهدافه، إلا أنه نجح في إرباك الشارع التركي، والتشويش عليه في العديد من القضايا.

٣- **الاختراق الاجتماعي:** لم يكن البعد الطائفي في تركيا شيئًا مهمًا في يوم من الأيام، فلا أهميّة أو وزن لهذا المعطى في الحياة اليوميّة أو الوظيفة الرسميّة أو أي منحى من مناحي الحياة في البلاد. لكنّ شيئًا طفيفًا بدأ يظهر على السطح مؤخرًا، وإن لم يصح وصفه بالظاهرة بعد نظرًا لمحدوديته في النطاق والزمان والتأثير، لكنّ الأتراك بدؤوا يشعرون بأنّ هناك تحريضًا طائفيًا وخطابًا مذهبيًا تسعى إيران إلى نقله إلى الساحة التركيّة على اعتبار أنّه تتوافر الكثير من الوسائل التي تمكّنها من تغذية مثل هذا التوجه في تركيا من بينها التركيبة الديمغرافيّة التي تضم علويين بالإضافة إلى الدائرة التي تحدّثنا عنها، والتي تضم (موالين ومناصرين ومنتفعين).

وفي هذا الإطار، كشف رئيس الجمعية العلوية البكتاشية التركمانية التركية «أوزدمير أوزدمير» أنّ إيران كثّفت جهودها، خاصة خلال السنوات الثلاث الأخيرة، لإحداث صراع طائفي بين السنة والعلويين في تركيا، وأنّها استضافت حوالي ٧٠٠ شيخ علوي إلى إيران التقوا بالمرشد الأعلى، وعدد من قادة الحرس الثوري الإيراني ضمن مخطط توسيع النفوذ الإيراني في تركيا.

كما كشف «أوزدمير» أنّ طهران أقامت ثلاث جمعيات ومؤسسة واحدة تهتم بالشأن العلوي في تركيا، لكنها في حقيقة الأمر مجرّد تمويه لعمليات استقطاب تستهدف النشء العلوي، وكذلك مشايخهم وترسلهم إلى قم لإعادة تأهيلهم، وتعيدهم من جديد إلى تركيا بما يخدم السياسة الإيرانية.

٤- **الاختراق الاقتصادي:** لاحظت تقارير تركية عدة لجوء إيران إلى أنقرة للتخفيف عن الضغط الاقتصادي الداخلي الذي بدأ يولّد مشاكل اجتماعية خطيرة، وصدامات مع عدد من الطبقات الاجتماعية والتجّار أنفسهم.

وفي هذا الصدد، كشف تقرير صادر عن اتحاد الغرف التركيّة أنّ ١٧ في المائة من الشركات (٤٤ من أصل ٢٥٣) التي أُسّست في تركيا خلال أيلول ٢٠١٢ لوحده فقط؛ تبيّن أنّها مموّلة من إيران، وهي المرة التاسعة على التوالي التي تحتل فيها طهران لائحة الصدارة فيما يتعلق بالجهات التي تؤسس شركات داخل تركيا.

فقد شهد عدد المؤسسات - التي تم إنشاؤها في تركيا بدعم إيراني، ارتفاعًا سريعًا منذ بداية عام ٢٠١٢، وبلغ عددها ٦٥١ شركة، لتتفوق بذلك على ألمانيا وروسيا وأذربيجان بواقع ٢٥٢ للأولى، و١٢٦ لكلّ من روسيا وأذربيجان، علماً أنّ عدد المؤسّسات الإيرانية بلغ عام ٢٠١١ نحو ٢١٤٠ شركة، بزيادة بلغت نحو ٤٠ في المائة عن عددها عام ٢٠١٠.

وتثير هذه النشاطات الاقتصادية الإيرانية قلقًا لدى أوساط مختلفة من الطيف التركي؛ من سياسيين واقتصاديين، خصوصًا أنّها تركّز على القطاعات الإستراتيجية المهمّة، ومعلوم أنّ مفاتيح الشركات الاقتصادية الإيرانية يديرها الحرس الثوري الإيراني، فمعظم النشاط الاقتصادي الإيراني يركّز في تركيا

على قطاع الطاقة والاتصالات والبناء. كما أنّ عددًا من العملاء الإيرانيين يعملون في هذه القطاعات إضافة إلى قطاع المال الذي يوفر لهم وصولاً مباشرًا إلى الأموال الساخنة لتمويل العمليات التي يقومون بها داخل البلد المستهدف، وفي هذه الحالة تركيا؟

٥- **أمّا على المستوى الإقليمي:** فعلى الرغم من أنّ كُلاً من العراق ولبنان والخليج العربي مثّلت حالات اختبار للسياسة الإيرانيّة بالنسبة إلى تركيا، لكن الملف السوري كان الأكثر حضورًا وتأثيرًا في التوجهات التركية العامة أو الخاصة، الرسميّة أو غير الرسميّة من إيران في الآونة الأخيرة. فقد كشفت الثورة السوريّة الوجه الحقيقي للسياسات الإيرانيّة بالنسبة للأتراك، بحيث لم يعد بالإمكان السكوت عنها بعد الآن. كما تحررت الشريحة التي كانت تفضّل البقاء صامتة أو مترددة حيال انتقاد إيران رغم معرفتها بحقيقة السياسة الإيرانية السلبيّة من القيود التي تمنعها من رفع الموضوع إلى مستوى النقاش العام، بل وتسليط الضوء عليه أكثر فأكثر.

بولنت كينيش، رئيس تحرير صحيفة «توداي زمان» التركيّة الأوسع انتشارًا في تركيا، والمتخصص في السياسة الإيرانية لنيله شهادة الدكتورة في موضوع «الثابت والمتغيّر في سياسة إيران الخارجيّة ١٩٧٩-٢٠١١» والتي أشرف على حيثيّاتها الأوّلية وزير الخارجيّة التركي أحمد داوود أوغلو، يعدّ واحدًا من هؤلاء على سبيل المثال.

فقد قام كينيش مؤخرًا بنشر كتابين، أحدهما في العام ٢٠١٢ تحت عنوان: «إيران تهديد أم فرصة؟»، والآخر في العام ٢٠١٣ «عمليًّا» تحت عنوان «إيران والإرهاب: من حسن الصبّاح إلى اليوم» يسلّط الضوء - ولأول مرّة بشكل مباشر وواضح وصريح- على السياسات التخريبيّة الإيرانيّة في المنطقة، طارحًا مصطلحات ومفاهيم جريئة في هذا الصدد.

كما حصل تحوّل لدى بعض الكتّاب الذي كانوا يؤيدون إيران في السابق بعدما أدركوا حقيقة سياساتها واختبائها خلف مصطلح «المقاومة» ترافق ذلك مع تحرر أكبر في تناول وانتقاد وفضح أي عمل يتعلق بالسياسة الإيرانية تجاه تركيا والإقليم.

انعكاسات هذا التحوّل على العلاقات الثنائيّة

من خلال الاحتكاك المباشر مع المسئولين الأتراك، نستطيع أن نقول أنّه ليس هناك نيّة لدى الأتراك لخوض مواجهة من أي نوع مع إيران، فهم يعتمدون سياسة «الطمأنة الدائمة» على الرغم من كل السلبيات التي شهدتها العلاقة الثنائية مؤخرًا، والتهجّم الإيراني على تركيا سياسيًّا وإعلاميًّا وحتى أمنيًّا كما ذكرنا.

لكن إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ثلاثة متغيّرات أساسيّة في المنطقة، فإننا سنصل إلى استنتاج يشير إلى أنّ التنافس بين الطرفين سيشتدّ حكمًا خاصّة وأنّ اللعبة الإقليميّة لا تزال صفريّة في شكلها الحالي، فمكسب أحدهم هو خسارة للآخر دون شك. أمّا المتغيرات فهي: افتراض بقاء الحرائق الإقليميّة إلى وقت غير قليل، تضارب الأجندات والأدوات والوسائل المستخدمة في تنفيذ هذه الأجندات، إعادة ترتيب واشنطن أوراقها في المنطقة على أساس التركيز على منطقة آسيا- الهادئ.

اللافت للنظر أنّ هذا التدهور في العلاقة بين الطرفين لم يتم استغلاله من الدول العربيّة المتضررة من السياسات الإيرانية أيضًا في محاولة بلورة سياسة مشتركة مع تركيا لمواجهة هذه المخاطر، على الرغم من علمنا أيضًا أنّ هناك حساسيات تركية إزاء تطوير مثل هذا البرنامج المشترك لأسباب متعددة منها الحرص على عدم الظهور بمظهر القوّة الطائفيّة في المنطقة، رغم أنّ الوقائع على الأرض تجاوزت هذا الحرص، علمًا أنّ إيران تحاول إبقاء البوابة مفتوحة مع تركيا على حساب العرب، حيث يشير دبلوماسي إيراني رفيع المستوى كان قد خدم في سوريا من قبل بأنّه «مهما ساءت العلاقة مع تركيّا فإننا قادرون على التفاهم على ملفات ثنائيّة وفقًا لمصالح مشتركة، لكن من غير الممكن أبدًا أن نتفاهم - مع ما وصفها بأنها- دول بترودولارية لا تمتلك قرارها وإنما تأتيها الأوامر من الخارج»، في إشارة إلى الدول العربية والخليجية منها!.

وثيقة الأزهر الشريف لحقوق المرأة

بمبادرة مخلصة من فضيلة الإمام الأكبر اجتمعت كوكبة من كبار المثقفين وعلماء الأزهر استكمالاً للدور الذي تبنته مؤسسة الأزهر العريقة عقب ثورة يناير لتأسيس الوطن على مبادئ كلية تستهدي بها قوى المجتمع المصري والعربي لترشيد خطاها صوب المستقبل، حيث أثمرت وثيقة الأزهر الأولى حول طبيعة الدولة وبيان الأزهر الداعم لحراك الشعوب العربية صوب الحرية والديمقراطية، وبيان الأزهر حول منظومة الحريات الأساسية، وتدارس الجميع الدور الفعال الذي تقوم به المرأة في المجتمع المعاصر ومشاركتها النشطة في الحياة العامة، وضرورة وضع إطار شامل لحقوقها وواجبتها انطلاقًا من المبادئ الإسلامية السمحة وما يتوافق من المواثيق والعهود الدولية والخبرة الحضارية للشعب المصري في تجربته الماضية وطموحاته المستقبلية في إطلاق طاقات أبنائه وبناته لبناء المستقبل.

وقد توافق المجتمعون على المحددات التالية أساسًا لهذا الإطار الكلي:

أولاً: يتأسس وضع المرأة في الإسلام على المساواة مع الرجل، سواء في مكانتها الإنسانية وعضويتها في الأمة والمجتمع، أو مسئوليتها العليا في الاستخلاف على الأرض لإعمارها وتحمل الأمانة التي تتطلب الاختيار والإرادة، والمرأة إنسان كامل الأهلية والمسئولية عن أعماله مثل الرجل كما ينص القرآن الكرين في قوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [آل عمران: ١٩٥] فمبدأ المساواة والمسئولية المشتركة بين الجنسين قررته آيات واضحة بحيث لا يجوز تحجيمها من خلال أحكام جزئية خاصة بسياقات معينة.

ثانيًا: تمتد هذه المساواة لتشمل ما يتعلق بالنفس والروح والكرامة الإنسانية إلى جانب المشاركة في المسئولية عن الكون وإعمار لتحدد طبيعة علاقة المرأة بالرجل، بحيث لا يمكن فهم «القوامة» من المنظور الإسلامي الصحيح باعتبارها تمييزًا للرجل على المرأة، بل تعني في الأساس «الالتزام المالي نحو الأسرة» بحيث يأخذ الزوج على عاتقه توفير حاجات الزوجة المادية والمعنوية بصورة تشعرها بالطمأنينة والسكن، بما يحقق المسئولية المشتركة بعيدًا عن السلطة التصرف المطلقة والهيمنة من قبل الزوج أو الأب تجاه الزوجة والأولاد.

ثالثًا: تعتمد مسئولية المرأة الاجتماعية على الثوابت الإسلامية الكبرى في مرحلة التأسيس، فقد كانت «بيعة النساء» التي حدثت في صدر الدعوة الإسلامية حجر الزاوية في بناء الأمة الإسلامية على ما يشبه «العقد الاجتماعي» الذي أعقبته البيعة العامة بين الرسول الكريم وسائر المسلمين، ولم تكن دلالة هذه البيعة دينية فحسب، بل كانت سياسية واجتماعية وثقافية بادرت بها النساء وسبقن الرجال، ومن ثم فإن إطلاق المساواة لتشتمل الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية يعتمد على النصوص الصريحة والسوابق التاريخية الموثقة في الإسلام، وقد أسهم تطور المجالات والأدوار والأنظمة في تعزيز مكانة المرأة ومشاركتها المتصاعدة والفعالة تراعيها القوانين والتشريعات تحقيقًا للمصالح المرسلة، وأخذًا باجتهاد علماء الأمة في التفسير والتأويل، وهي عملية تاريخية وثقافية مستمرة، من حق المرأة عندما تأخذ نصيبها الوفير من المعرفة والعلم والتأهيل، بل من واجبها أن تسهم فيها بكل طاقاتها وإمكاناتها.

رابعًا: تتمتع المرأة بالأهلية الكاملة والشخصية القانونية المستقلة، ولها ذمتها المالية المنفردة وحق التصرف وحدها فيما تملك منذ صدر الدعوة إعمالاً لمبدأ الثابت في القرآن الكريم ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ

أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴿٧١﴾ [التوبة: ٧١] وفي الحديث الشريف « المسلمون تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم ويجير عليهم أقصاهم» وهذا ما تتضافر على إثباته جميع النصوص والأحاديث والسوابق التاريخية على مر العصور.

وقد حرص التشريع الإسلامي على تأكيد حق المرأة الثابت في الميراث وأطلق عليه وصفًا جعله «نصيبًا مفروضًا» ووضع الضمانات الكفيلة بحمايته.

أما ما أثير من جدل حول هذا النصيب ونسبته إلى الرجل فقد أسيء فهمه، إذ لا يمكن اعتباره دليلاً على الانتقاص من أهلية المرأة ومكانتها في الإسلام لأن مبدأ المساواة هو الأعم والأشمل، ولأن حالات الميراث عديدة منها يبلغ فيه نصيب المرأة نصف ميراث الرجل ومنها ما يتساوى معه أو يزيد عليه طبقًا لدرجة القرابة من ناحية، والمسؤوليات المرتبطة بالحقوق من ناحية أخرى، فالحالات التي يزيد فيها نصيب الرجل تقترن دائمًا بواجبه في الإنفاق على المرأة سواء كانت زوجة أو ابنة أو أختًا لكي يظل نصيبها خالصًا لها دون الرجل، الأمر الذي يحقق منظومة المساواة والعدل معًا ويؤدي إلى التوازن بين الحقوق والواجبات.

خامسًا: « تقوم المرأة بالدور الجوهري في تشكيل الأسرة التي هي نواة المجتمع وعماده، والأسرة كيان تعاقدي يعتمد على علاقة إدارية تنشأ بالاتفاق الحر الصريح ولا تنفض إلا بالاتفاق أو بالتعويض، وللمرأة في ذلك كله إرادة متساوية في إنشاء الأسرة وإنهائها مع الرجل حسب ما تنص عليه شروط العقد وأساسه التراضي والقبول المتبادل، ويتولى التوثيق حماية الطرفين وبخاصة حقوق المرأة.

وتقع مسئولية الإنفاق على الأسرة على عاتق الرجل وحده إلا إذا قررت المرأة طوعًا مشاركته ولا يقتضي ذلك إلغاء حقوقها في القيام بأدوارها السياسية والاجتماعية والاقتصادية الأخرى، فليس للرجل أن يتعدى على هذه الحقوق أو يسلبها منها، فكيان المرأة مصون وحريتها في التصرف مكفولة، وعلاقتها بالرجل لا تعتمد على الهيمنة بل على المودة والرحمة والتكافل مع حفظ جميع الحقوق والواجبات.

وإذا كانت مسئولية الأمومة ورعاية الأطفال تضطلع بها المرأة في الأساس فإن واجب الأبوة يفرض على الرجل المشاركة في تنشئة الأطفال ورعاية الأسرة، حيث لا يجوز أن يسبب دور المرأة في الإنجاب في التمييز الاجتماعي ضدها، بل على الأبوين تقاسم المسئولية بشكل عادل ومتوازن يراعي كيان الأسرة ومصلحة الأطفال في الدرجة الأولى.

سادسًا: لم يعد التعليم بجميع مراحله ومستوياته، ولا العمل بمختلف أنواعه ودرجاته مجرد حق للمرأة مثل الرجل، بل أصبح واجبًا على الدولة أن تتكفل به وترعاه، وتهيئ كل السبل لرقيه ودعمه، دون أدنى تمييز بين الرجل والمرأة في ذلك، فطاقات الإنسان لا يمكن تعطيلها وقدرات البشر العقلية والمعرفية هي أساس بناء الحضارات، لا فرق في ذلك بين الرجل والمرأة، وإذا كانت بعض العصور قد آثرت توزيع الأعمال البدنية والعقلية طبقًا للحاجات الاجتماعية فإن خبرات الأمم اليوم قد أدت إلى تعديل الأدوار وتكافؤ الفرص، وقد عرف المجتمع الإسلامي في عهوده الزاهرة مشاركة المرأة الفعالة في علوم الدين والمعارف والإنسانية والفنون المختلفة، وتفوقها على نظيرتها في الثقافات الأخرى في تلك العهود، بل إن رفع شأن المرأة كان سمة حضارية انتقلت عبر الأدب والشعر والثقافة في الأندلس إلى الآداب الأوروبية في العصور الوسيطة في حركة شعراء «التربادور» وإرسائهم التقاليد الفروسية النبيلة.

سابعًا: يؤدي كل ما سبق إلى إقرار منظومة حقوق المرأة السياسية وحفزها على المشاركة الفاعلة في الترشيح لجميع المناصب القيادية وفي

الدولــة وممارســة واجبهــا في الانتخــاب والتــصدي للمــسئولية في جميــع المؤســسات والمواقــع الــتي تؤهلــها كفائتهــا وقــدراتها علــى القيــام بهــا دون أيــة عوائــق، كمــا يــؤدي إلى ضــرورة تــشجيع المــرأة كــي تحقــق ذاتهــا وتكتــشف مواهبهــا وإمكانتهــا ولا تــضع ســقفاً لطموحاتهــا العلميــة أو العمليــة مادامــت قــادرة علــى المواءمــة الدقيقــة بــين كــل ذلــك وواجبتهــا في الحيــاة الأســرية في إطــار مــن التعــاون والمــودة بينهــا وبــين الرجل.

كمــا يفــضي إلى تأكيــد منجزاتهــا في المجــال الاجتمــاعي والاقتــصادي والثقــافي وإدراك أهميــة مــضاعفة دورهــا في التنميــة والتقــدم لا عــن طريــق قيامهــا بواجباتهــا التربويــة والأســرية فحــسب، بــل عــن طريــق إســهامها في كــل مجــالات الحيــاة بكفــاءة واقتدار.

ثامنًــا: قــد يكــون مــن نتــائج هــذه المــشاركة في الحيــاة العامــة في العــصور الحديثــة انتــشار ظــواهر تعــرض المــرأة لــلأذى البــدني بــالتحرش بــالقول أو بالفعــل أو بالاغتــصاب وانتهــاك حرمــة الجــسد فرديًــا أو بممارســة جماعيــة كالاتجــار بالبــشر والرقيــق الأبــيض، الأمــر الــذي يفــرض علــى استفــسار منظومــة قيمــه الأخلاقيــة لمقاومــة هــذه الظــواهر الــسلبية، ويفــرض علــى الدولــة تحــديث التــشريعات الرادعــة والقــوانين المانعــة لهــذه الممارســات الإجراميــة، وأخــيرًا فــإن المــرأة في المفهــوم الإســلامي الــذي عززتــه المبــادئ الإنــسانية والدوليــة والتجــارب الحــضارية صــاحبة حــق أصــيل في الجماعــة الوطنيــة، تمتلــك جميــع حقــوق الإنــسان في إعمــار الكــون وتنميــة المجتمــع بمــسؤولية تامــة دون أدنــى تمييــز عــن الرجــل، ومقــدار كفائتهــا واستعدادها تسهم في رقي في رقي الأمة وحضارته.

والله الموافق

رفاق دريد لحام يكشفون أسراره

علي محمد طه – موقع المثقف الجديد ١٢/٨/١٤٣٤هـ

في مــشهد مــن مــسرحية (ضــيعة تــشرين) يعــود المقــاتلون مــن أرض الكــرم المحتلــة منهــزمين، فلــم يجــدوا شــيئا ممــا كــان قــد قالــه لهــم مختــار القريــة مــن كــون عــدوهم ضــعيفا وجبانــا ولا يملــك ســلاحا، وكــانوا قــد وجــدوا العكــس في أرض الميــدان، فالعــدو قــوي ومتــسلح بــشكل جيــد بينمــا هــم أســلحتهم قديمــة وعــددهم قليــل وغــير مــؤهلين لخــوض معركــة الكرامــة مقابــل العــدو الغاشــم، وفي لحظــة محاســبة الــذات ولــوم المختــار الــذي زج بهــم في هــذه المعركــة غــير المتكافئــة، وكونــه هــو مــن أعطــاهم معلومــات غــير صــحيحة، بــل وكاذبــة ممــا تــسبب في هــزيمتهم وتقهقــرهم أمــام العــدو الــذي كــان قــد احتــل جــزءا مــن الأرض، فبــات بعــد هــذه المعركــة محــتلاً لــلأرض كلــها، في خــضم هــذا الموقــف الحــزين وقــف المختــار مبتهجــاً مختــالاً فخــوراً بنفــسه ليقــول لهــم أنــتم لم تنهزمــوا، بــل أنــتم منتــصرون، نظــر الجميــع لــه بدهــشة واســتغراب متــسائلين عــن أي انتــصار يتحــدث هــذا، فأعــاد قولــه: نعــم أنــتم انتــصرتم لأن حلــم وهــدف عــدوكم لم يتحقــق مــن المعركــة، فنظــروا لــه مجــدداً مــستغربين، فقــال لا تــستغربوا فقــد كــنت أنــا الهــدف مــن الحــرب، وكــان هــم العــدو اســقاط النظــام ولكنــه فــشل في ذلــك، وانظــروا كيــف أنــني أعــيش بيــنكم واتحفكــــم بنظريــــاتي وأفكــــاري. هيــــا ارقــــصوا وافرحــوا فــأنتم منتــصرون اليــوم. وبهــذا ضــحك المختــار علــى شــعبه بهــذه الأكذوبــة والمهزلــة الــتي تفتقــت مــن مخيلتــه وصــدق الــشعب المغلــوب علــى أمــره مــا قالــه لــه مــرة بالترغيــب وأخــرى بالترهيــب، يــذكرنا هــذا المقطــع مــن المــسرحية الــتي كــان أحــد أبطالهــا دريــد لحــام بمواقــف الفنــان نفــسه الــذي ظــل طــوال خمــسين ســنة ماضــية يــصدع رؤوســنا بمــسرحياته وأفلامــه الــتي تتحــدث عــن الــصراع العربــي الإســرائيلي، وعــن الظلــم

والنظم الديكتاتورية محملة بطابع عروبي قومجي، وكان للعبه على وتر هذه المواضيع الحساسة والمشوقة للجماهير الغاضبة سبب كبير في شهرته ونجاحه وتألق نجوميته، ومع مرور الأيام بدأ هذا الرجل يفقد بريقه بسبب مواقفه ،وعلاقاته المشبوهة مع حزب الله الذي تربطه به علاقة وثيقة، حيث يعتبر عضوا غير رسمي فيه ،فهو من والد شيعي دمشقي ووالدة من بلدة (مشغرة) في البقاع اللبناني مع أنه ينتمي منذ سنوات طويلة للحزب القومي الاجتماعي السوري الذي يطالب بعودة السوريين في بلاد الشام إلى جذورهم الفينيقية القديمة كمرجع عرقي لكل أهل الشام بغض النظر عن دينهم وانتمائهم، الحقيقة التي لايمكن التغاضي عنها أن هذا الرجل المتلون استطاع تسلق كل طريق يخدم مصالحه ومصالح من يعمل معهم من فنانين ومثقفين وسياسيين، ولعل الكثيرين يجهلون أن اسم(غوار) الذي تسمى به في أعماله الفنية وتسبب في شهرته هو اسم لفلاح فقير يعمل في تنظيف المكاتب في التلفزيون السوري كان اسمه (غوار) . دخل دريد للفن من أبوابه العريضة عن طريق نهاد قلعي وخلدون المالح واستطاع الالتفاف عليهما وجني ما انجزاه من جهد فني لينسبه لنفسه، وهذا ما أكده رفيق سبيعي في كتاباته وهو ما قاله عمر حجو ياسين بقوش و محمد الماغوط ونهاد قلعي الذي مرض أثر ضربه على رأسه بكرسي في مطعم (النادي العائلي) بدمشق من قبل أحد ضباط سرايا الدفاع العاملين مع رفعت الاسد مما تسبب له في نزيف دماغي، وقد حضر دريد قصة ضربه ،وعند الشهادة شهد بما يؤيد ضاربيه، وقام ببيع رفيق دربه من أجل ضباط رفعت الاسد، زرت ذات مرة أسرة الراحل نهاد قلعي وقد كان تصرف دريد تجاه نهاد مزعجاً لهم وخاصة أنه تلقى مساعدات كان من المفترض أن تصل الى نهاد عن طريقه ليضعها في حسابه الخاص عرضت علي عائلة نهاد قصاصة كتبها بيده قبل موته تقول (إن شخصية غوار الطوشة التي جسدها دريد لحام في أعماله هي في الحقيقة تجسد حقيقة أخلاقيات هذا الرجل)، وطبعاً شخصية غوار هي الشخصية الانتهازية الكاذبة المراوغة التي تعيش على النصب وعلى الاحتيال، وهذا كان حال دريد مع كل من عمل معهم خلال الاربعة عقود الماضية، زرته ذات مرة في بيته فوجدت شهادات تقدير ودروعا مهداة له من قبل حزب الله وعندما سألته عن علاقته به قال هي وطيدة فهو حزب مقاوم تجمعني به روابط الدين والمقاومة، وأنا أدعمه معنويا وماديا وفي كل شيء وحتى أولادي يتمنون الانتساب له، دريد لحام في ذاكرة الدراما السورية يجسد النصب وسرقة إبداع الغير وقد حررت بحقه الكثير من القضايا التي تتهمه بالنصب والاحتيال، ولكن علاقاته الأمنية حالت دون إدانته كونه كما يقال عنه في سوريا مدعوم . ذات مرة زرته مع كاتب قصة (وطن في السماء)، حيث كان قد اتهم دريد بسرقة قصة روايته حرفيا وتنكر له ولقصته وبعد إنكار لمعرفته به وبقصته وبعد شروعنا للخروج من بيته ناداه دريد مهددا (شوف أنا ما بضر حدى لكن في الوقت المناسب بتظهر لي مخالب وأستطيع أذية أي أحد) الغريب أن هذا الرجل اختير عام ١٩٩٧م سفيراً للنوايا الحسنة لمنظمة اليونيسيف في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

مع أنه أبعد ما يكون عن النوايا الحسنة،

وهذه بشهادة كل من عملوا معه خلال السنوات الماضية، فهو في نظرهم الفنان البخيل الذي يأكل حقوق من يعمل معهم، وهو المراوغ الذي لايؤمن جانبه . الغريب أن هذا الفنان يجد من يسوق له أعماله لأسباب كثيرة منها صلته مع شقيق زعيم عربي كبير تربطه به رابطة نسب ومنها إدارة بعض القنوات الفضائية التي يديرها أشخاص من نفس طائفته والتي لا يزالون يعملون على تكريسه كرمز للصمود والتصدي رغم سقوطه منذ عام ١٩٩٤م، ومع مسلسل (أبو الهنا) الذي فشل فشلا ذريعاً وهم يريدون تسويقه رغم أنه سقط فنياً

وأخلاقيا. كتبت هذه المقالة بعد علمي بقيام قناة عربية تصف نفسها بالرائدة بشراء مسلسله (سنعود بعد قليل) لعرضه في رمضان القادم ،والعمل يتحدث عن أوضاع سوريا الحالية ويروي قصة عائلة هاجرت من سوريا إلى لبنان بسبب الوضع المتردي في سوريا، فهل سيتقبل الناس مشاهدة مسلسل يقوده شبيح دعم النظام لسنوات، ولا يزال كما يقول السوريون وحاول بعضهم إيقاف تصويره في لبنان عدة مرات ... هذا ما سنعرف الإجابة عنه في رمضان القادم.

من خفايا شريف شحادة وآخرين

ثائر الزعزوع – موقع المثقف ٢٠١٣/٧/٨

عام ١٩٦٣ استولى حزب البعث على السلطة في سوريا، ووضع البلاد في حالة من الركود بعد أن فرض العمل بقانون الطوارئ، وحل جميع الأحزاب والجمعيات التي كانت فاعلة في تلك الفترة، وأغلق الصحف والمجلات، واستمرت حالة الركود تلك عقوداً طويلة، وبعد أن كانت «سوريا» رائدة في العمل الصحفي، تمت بسترة هذا العمل وتدجينه ليتحول إلى جهاز ملحق بالمؤسسة الحزبية الحاكمة، فيما بعد سيكون جزءاً من المؤسسة الأمنية وذلك في أعقاب الانقلاب العسكري الذي قام به حافظ الأسد واستولى على السلطة، وتطور النموذج الحاكم من دولة حزبية إقصائية إلى دولة مخابراتية إلغائية، وبرزت الأجهزة الأمنية قوية مسيطرة على مختلف مناحي الحياة السورية.

مع بداية عام ٢٠١١ تعرضت سوريا لهزة عنيفة كشفت عن حقيقة في غاية الحساسية، وهي أن البلد الذي كان يتشدق مسؤولوه بالانفتاح والتحرر ليس سوى سجن كبير، وأن أي محاولة لتجاوز بواباته، بل نوافذ هذا السجن قد تودي بصاحبها إلى المجهول.

بدأت الثورة على النظام إعلامية بجدارة واستغل الناشطون وسائل الاتصال الحديثة بكل مهارة ليحلموا بوطن تصان فيه حقوق أبنائه، وهنا الكلام ليس إنشائياً، بل هو استعارة من الكثير مما كتب في بداية الثورة السورية، وكما حدث في دول الربيع العربي التي سبقت سوريا فقد كان الناشطون وبجدارة صحفيي المرحلة، وفيما وقع النظام في (حيص بيص) كما يقال وما عاد يعلم من أين تأتيه الضربات، فهو في بنيته الأساسية كان متخلفاً، وكان جهازه الأمني أكثر مفاصله تخلفاً وغباء، فاستعان بالوسائل القديمة وباللغة الخشبية نفسها ليدافع بها عن نفسه من خلال وسائل إعلامه المهترئة، مستعيناً بمجموعة من الصحفيين والمراسلين والكتاب الذين تم تأهيلهم على مدى سنوات، فبرزت على الفور أسماء بعينها لتدافع عن «دولة الممانعة والصمود» في وجه «المؤامرة الكونية» كذا... إلى آخره، فتصدر المشهد محللون من أمثال «خالد العبود، طالب إبراهيم، شريف شحادة» وسواهم، ولكل من هؤلاء قصة ولعل أغربها، بل وأشهرها قصة شريف شحادة الذي برز فجأة ليصبح محللاً سياسياً بارزاً، يدلي بدلوه في جميع المناسبات، ويطل على وسائل الإعلام كافة، مشخصاً محللاً مستفيضاً في الشروح، طبعاً لا تنبئ السيرة الشخصية لشحادة بأنه كان سيصبح في أفضل الحالات صحفياً محلياً في مدينته اللاذقية التي جاء منها، فالرجل ابتدأ حياته المهنية مرافقاً لفواز الأسد ابن عم بشار الأسد الذي كان وقتها مديراً لنادي تشرين الرياضي، أي أنه انطلق من صفوف الشبيحة، ثم تم نقله إلى الاتحاد الرياضي العام في العاصمة دمشق، بعد ذلك صار شحادة مشرفاً على منتخب سوريا للناشئين بكرة القدم، وفجأة ومع بداية الثورة تحول إلى «كاتب ومحلل سياسي» بعد ذلك وفي أول انتخابات لمجلس الشعب انتقل شحادة ليتبوأ مقعده في مجلس الشعب، ولعل هذا النموذج البسيط يقدم صورة عن الكثيرين سواء ممن تمت

ترقيتهم على أيدي «جهاز المخابرات» وتحولوا لصحفيين، وعلى العموم الأمر ليس جديداً في سوريا، فلو سئل أي صحفي في سوريا عن رئيس اتحاد الصحفيين «الياس مراد» لقدم إجابة لا تختلف كثيراً عن سيرة شحادة المهنية، ويقدم اسم «الياس مراد» جاهزاً في كل انتخابات تجرى ولا مجال أمام أعضاء اتحاد الصحافيين سوى اختياره.

وربما لا يستغرب الكثيرون، كما لا أستغرب أنا، أن تكون الأجهزة الأمنية في بلد أمني بامتياز مسيطرة على مفردات العملية الإعلامية من ألفها إلى يائها، دون أن تفوتهم شاردة أو واردة، فلكي يصبح أي صحفي مراسلاً لإحدى القنوات التلفزيونية أو الإذاعات أو الصحف، فإن إضبارته تتم الموافقة عليها من قبل لا مكتب واحد، بل مكاتب أمنية مختلفة، فإن لم يحصل على الموافقة الأمنية فلا يمكنه العمل، بل إن الأمن وفي بعض الحالات يطلب من المراسل الذي تتم الموافقة عليه أن يوقع ورقة يتعهد بموجبها بالتعاون معهم وتزويدهم بأي معلومات عن أشخاص قد يشك فيهم، أو يشكلون من وجهة نظرهم تهديداً من خلال تصريحاتهم التي يدلون بها، وتخضع حركته وتنقلاته لمراقبة شبه دائمة، ولأن اللعبة بأساسها في يد الأمن فلم يعد مستغرباً والحالة هذه أن يتحول بعض العاملين في الأمن إلى صحفيين ومراسلين، ولعله لا جدوى من ذكر أسماء بعينها هنا فالقائمة تطول، ويكفي أن نذكر أسماء رفيق لطف وحسين مرتضى ونزار ميهوب وشادي حلوة ليتبين القارئ شكل الإعلام الذي تم تصنيعه، ولعل ما شهدته الأزمة من انشقاقات أعلنها العديد من الإعلاميين تختصر كثير من القصة، فالإعلاميون الذين أعلنوا انشقاقهم لا يقلون أهمية عن العسكريين، فكلاهما كان يمثل بالنسبة للنظام سلاحاً يوجهه إلى صدور المواطنين، وقد أفرغ النظام الساحة السورية من جميع القنوات الفضائية العاملة وأغلق مكاتبها، بل وحرض شبيحته لتحطيم تلك المكاتب ومحاصرتها كما حدث مع قناة الجزيرة، فأي صوت غير الصوت الذي يخرج من أقبية المخابرات مرفوض تماماً، وأي خبر ينشر عكس ما هو مطلوب هو إعلان حرب من وجهة نظر النظام.

ختاماً دعوني أورد حادثتين شخصيتين:

عام ٢٠٠١ كنت أعمل عملاً إدارياً في إحدى مؤسسات وزارة الإعلام السورية، سألتني إحدى الموظفات معي في القسم: «ما هي واسطتك حتى تعمل هنا، وأنت لست منا؟؟».

يترك تساؤل تلك «الزميلة» الباب مفتوحاً على اتساعه أمام العديد من الأسئلة، فما معنى أن «تكون منا»؟ وهل يحتاج إعلامي وكاتب واسطة كي يعمل في بلده؟؟

وإلى أي مدى كانت هذه الـ «منا» تختصر واقع الحال الإعلامي في سوريا؟

وفي حادثة أخرى، نشرتُ في أحد المواقع الالكترونية مقالاً عشية انعقاد «مؤتمر حزب البعث الحاكم في سوريا» عام ٢٠٠٥ بعد أيام من نشر المقال زارني في عملي رجل أمن، وأجرى معي تحقيقاً سريعاً حول ما قصدته في المقال كذا إلى آخره، وقبل خروجه قال الكلمات التالية: «نحن نرى كل شيء، والصحافة يجب أن تفهم هذا جيداً».

الملف الأسود للشبيح غسان بن جدو

محمد أمين – موقع المثقف الجديد ١٤٣٤/٨/٢٢هـ

لم نكن بحاجة لثورة عظيمة كالثورة السورية لكي نكتشف شخصا اسمه غسان بن جدو، فالرجل لم يكن يمارس تقية دينية أو سياسية، فقد كان ميله بل ارتباطه الوثيق واضحا بمشروع إيران في المنطقة، وهو مشروع له العديد من الدوافع، أهمها الدافع الاعلامي. لقد كان غسان بن جدو أحد الأسلحة الناعمة بيد إيران في سعي حثيث بدأه الخميني منذ مطلع عقد الثمانينات من القرن المنصرم للسطو المسلح بحقد

القرون على العقول والجغرافيا فقد كان يحلم أن ترفرف رايات ثورته المزعومة في الفضاء العربي.

ولد بن جدو عام ١٩٦٢ في تونس من أب تونسي وأم مسيحية لبنانية تزوجها والده إبان عمله كدبلوماسي في سفارة بلاده في بيروت. وبدأ عمله في الإعلام مراسلا لجريدة الحياة في الجزائر، وتنقل بعد ذلك في العديد من وسائل الإعلام حتى استقر أخيرا في قناة الجزيرة، حيث ترأس مكتبها في طهران لعدة سنوات، ثم في بيروت ليستقيل منها بعد أن انحازت المحطة مع الثورة السورية، حيث وجد أن مصالحه مع إيران وسوريا وحزب الله تتعارض مع بقائه في المحطة، وبعد استقالته المعللة بخروج المحطة عن واجبها الإعلامي، وتحولها إلى غرفة تحريض حسب زعمه، ولكن ما حصل بعد ذلك ينفي بالمطلق الأسباب التي ساقها للاستقالة، فسرعان ما افتتح بن جدو قناة جديدة حملت اسم (الميادين) بتمويل إيراني غايتها الوقوف أمام المد الثوري العربي قبل أن يقتلع جذر إيران من المشرق العربي إلى غير رجعة.

الحديث عن غسان بن جدو يستدعي على الفور حديثا عن مرحلة كاملة تسيّدت فيها إيران المشهد في الشرق الأوسط تحت يافطات أثبتت الأحداث زيفها. كان غسان بن جدو حصان طروادة بالنسبة لإيران حيث زرعته في قلب أهم محطة إخبارية عربية ليدس السم في العسل، ويسوّق لمشروعها، وقد نجح إلى حد بعيد، فالرجل لا تنقصه الثقافة والحضور وقوة الحجة وقدرة الوصول إلى مشاهديه، وقد اتخذ من برنامجه (حوار مفتوح) منبرا أسبوعيا يمرر من خلاله ما يشاء من ترهات ما يسمى بمحور المقاومة والممانعة، وقد كان له دور بارز في تصدير ما جرى في عام ٢٠٠٦ (حرب حزب الله المفتعلة مع اسرائيل) على انه انتصار إلهي في حين أن ما تعرض له لبنان من دمار أجبر حتى حسن نصر الله على الاعتراف علنا بانه ما قام به مغامرة غير محسوبة النتائج، وقد بدأ يلمع نجم بن جدو بعد ذلك ويُستقبل في العواصم العربية استقبالا يليق بـ (إعلامي مقاوم)، وخاصة في دمشق، حيث كان النظام يحتفي به احتفاء غير عادي، وكان أغلب الإعلاميين السوريين يدركون ماهية الدور الخفي الذي يلعبه، ويتمنون أن يأتي اليوم الذي تتكشف فيه أوراق هذا التونسي المتشيّع (أعلن بن جدو تشيّعه) والمرتبط بايران وأدواتها في المنطقة (بشار الأسد وحزب الله) ارتباطا عقائديا (بن جدو متزوج من شيعية لبنانية) .

وفي أواخر عام ٢٠١٠ أشعل شاب تونسي نفسه ليشعل كل شيء في العالم العربي، ويزيل الغشاوة عن عيون الغافلين، حيث انتقلت نيران محمد بوعزيزي إلى ليبيا واليمن ومصر وكان غسان بن جدو من أوائل الإعلاميين العرب الذين وقفوا إلى جانب الثورات العربية، وباركوها معللين أنفسهم بأن تقف النار عند حدود معينة، وأن لا تصل إلى سوريا، وهي جوهرة التاج في مشروع إيران الذي قطع شوطا لا بأس به في تخدير الوعي العربي حيث استفادت من ترهل الأنظمة العربية التي أكل عليها الدهر وشرب، ولكن رياح التغيير العاصفة لم تأت كما تشتهي سفن إيران وأدواتها وأزلامها، فقد أعلن أحرار سوريا في منتصف آذار من عام ٢٠١١ انتهاء زمن الذل وبدء زمن جديد، فجاءت الأوامر من الاستخبارات الايرانية لغسان بن جدو، ومن يسير في ركابه لإعلان استقالة من قناة الجزيرة للايحاء للمشاهدين العرب أن هذه القناة تحاول ضرب (محور المقاومة والممانعة)، ولم تكن إيران تدرك أن زمن الأكاذيب السوداء قد ولى، وأن الأقنعة قد سقطت عن وجه مشروعها فبان قبحه وخبثه، وأن أدواته قد بدأت تنهار على وقع صرخات شباب مؤمن بالتغيير، وقد حاول بن جدو بالفعل الايحاء أن استقالته جاءت لأسباب تتعلق بالدور الذي تقوم به القناة، وكأن بن جدو وبعد ١٥ عاما من العمل فيها مراسلا ومقدما ومديرا لمكاتبها في أكثر من عاصمة قد اكتشف بقدرة

قادر أنها قناة تحريضية، وقد ساق بن جدو العديد من الأسباب غير المقنعة والتي اثبتت الأيام زيفها وبطلانها إذ سرعان ما أعلن عن مشروعه، وهو قناة الميادين واختار لها شعار (الواقع كما هو) شعار بالمطلق يستدعي الدهشة والاستغراب، ومنذ انطلاقة هذه القناة الممولة من إيران بدا أن مهمتها الأساسية ليّ عنق الربيع العربي لإفراغه من مضامينه الرائعة وحرفه عن مساره وادخاله في أنفاق فكرية كفيلة بخنقه.

وبدا واضحا أن بن جدو أمينا على رؤية مرشده وولي فقهه (الخامنئي) الذي قال: «سوريا كما كانت أو لن تكون لاحد». لقد بدأت (الميادين) تشهر خناجرها الإعلامية السوداء منذ الأيام الأولى لانطلاقتها لطعن الثورة السورية في مقتل، حيث روجت للعديد من القضايا التافهة والمختلقة كقضية (جهاد المناكحة)، حيث ادعى بن جدو أن هناك نساء عربيات (تحديدا من موطنه تونس) ذهبن إلى سوريا للترفيه عن المجاهدين، حيث يجاهدن بأجسادهن. تهمة ساقطة من إعلامي ساقط يتمرغ بوحل الرذيلة والعمالة لإيران وأدواتها ، وقد انقلب السحر على الساحر، حيث نشر موقع بيروتي نبأ ارتباطه المحرم مع مذيعة قناة المنار (الممانعة) بتول ايوب، نبأ سرعان ما تناقلته مواقع التواصل الاجتماعي ووسائل إعلام لتسقط ورقة أخرى من اوراق (اعلاميي المقاومة)، وقبل هذا النبأ (الفضحية) ارتكب غسان بن جدو خطأ إعلاميا أصاب صدقية ميادينه في مقتل، وقدمت دليلا دامغا على ارتباطها بالاستخبارات الإيرانية، حيث عرضت ما قالت أنه صور لسيارة جيب إسرائيلية في القصير بعد دخول حزب الله على البلدة، وقد هلل (إعلام المقاومة) لهذا السبق العظيم لقناة الميادين، وبدأ ينسج الخرافات عن دعم (اسرائيل) للثوار في سوريا، ولكن سرعان ما انكشفت لعبة بن جدو، فالسيارة كانت من بقايا الجيش الإسرائيلي إبان وجوده في الجنوب اللبناني نقلها حزب الله إلى القصير للتأثير على الرأي العام العربي، وتأكيد ما يروج له هو ونظام الأسد عن (المؤامرة الكونية) التي تستهدف سوريا ومحور الممانعة.

كتب بن جدو منذ بعض الوقت مشبها الربيع العربي بالفارس مقطوع الرأس «انه فارس مخيف بلا ملامح.. وبلا حياة»، وذهب بن جدو بعيدا في توصيفه لربيع الشعوب المقهورة من قبل أنظمة مستبدة»، جثة تتنقل من بلد إلى بلد على متن راحلة قطرية فيما هي تتعفن وتنشر الوباء والطاعون النفسي والأخلاقي.. والذباب والدود والموت والاستعمار الجديد» توصيف ينم بشكل واضح عما يعتمل في سريرة وعلانية هذا الرجل الذي باع نفسه لإيران ومشروعها الخبيث وسوف يأتي يوم لا أراه بعيدا لن يجد راحلة إيرانية في العالم العربي تنقله إلى جحور قم وطهران، فلسوف تقصم الثورة السورية ظهر إيران وحينها لن يكون هناك مكان لذباب ودود (الولي لفقيه) وقاسم سليماني (قائد فيلق القدس الايراني) في الارض العربية .

أبشروا بالتطرف!!

أسامة شحادة -صحيفة الغد ٢٠١٣/٦/٢١

نشرت الغد مؤخراً تقريراً عن تحول أبناء بعض السياسيين والمسؤولين نحو الجهاد في سوريا والالتحاق بالتنظيمات الإسلامية المسلحة هناك، وهذا شيء طبيعي لمن يقرأ المشهد العام بشكل موضوعي، فبعد أن راج عقب الثورات في تونس ومصر مقولة أن فكر العنف وخطاب القاعدة انتهى وأن الجماهير العربية عرفت طريقها للتغيير بشكل سلمي وحضاري، إلا أننا بتنا نشك في ذلك !

وبرغم مئات المؤتمرات والندوات عن ضرورة التعددية والانفتاح بين الإسلامين ومعارضيهم ومخالفيهم فضلاً عن المقالات والأحاديث الإعلامية، إلا أن الوقائع على الأرض اليوم تنسف هذه الشعارات والدعوات عن بكرة أبيها، فما هو

الـسبب في ذلـك، دعونـا نحـاول لملمـة المـشهد بقـدر الإمكان:

في سـوريا يـصطف اليـساريون بمختلـف ألـوانهم وأطيـافهم خلـف بـشار الأسـد جنبـاً إلى جنـب مـع كـل الميلـشيات الـشيعية التابعـة لإيـران مـن لبنـان والعراق واليمن والبحرين والعراق والسعودية.

وفي الوقـــت الـــذي تعـــادي هـــذه الأحـــزاب اليـسارية الإسـلام الـسياسي الـسني في مختلـف الـبلاد تتحـالف مـع الإسـلام الـسياسي الـشيعي !! والـذي يمتلـك نـسخته الخاصـة للديمقراطيـة والـتي هـي أسـوأ بمراحـل كـثيرة جـداً عـن ديمقراطيـة الحركـات الإسـلامية الـتي ترفـضها هـذه الأحـزاب اليسارية، فهل لهذا تفسير سوى الانتهازية ؟

في سـوريا تتواصـل المجـازر اليوميـة وأنهـار الـدماء تـسيل بينمـا لا يـزال محـور الإجـرام النظـام الـسوري والروسـي والإيرانـي والـصيني يتلاعـب ويـستغل ورقـة التطـرف والإرهـاب في مفاوضـاته مـع الغـــرب والجامعـــة العربيـــة، ولـــيس مهمـــا أرواح الـسوريين الأبريـاء الـتي تزهـق، وهـذا كلـه والنظـام الـسوري هـو مـن كـان يـسهل لهـم العبـور للعـراق وهـو من أطلق سراح المسجونين منهم مع اندلاع الثورة !!

أمـا في مـصر فجبهـة الإنقـاذ تقـود كافـة المعارضـين والخـصوم للإخـوان وللتيـار الإسـلامي في عـداء صـارخ لا يحـتكم إلى أي قيمـة علمانيـة أو حداثيـة أو ديمقراطيـة ممـا يتغنـون بهـا ويتـشدقون، بـل يـصرح بعـضهم بـأنهم لـن يـسمحوا للإسـلاميين بـالحكم وأن مكـانهم الطبيعـي الـسجون، ثـم لا ينكـر البقيـة علـيهم هـذا التـصريح، وهـو مـا يعـرف بالفقه الإسلامي الإجماع السكوتي !

ومـا يجـري علـى أرض مـصر مـن أحـداث شـغب وعنـف لـو قـام ببعـضه الإسـلاميون لقامـت الـدنيا ولم تقعد.

وفي تركيـا يؤيـد العلمـانيون وفلـول إيـران وبـشار المظـاهرات الـشيوعية التخريبيـة والـتي لا مـبرر لهـا سوى العجز عن التقدم باللعبة الديمقراطية.

وينظـر الإسـلاميون إلى بعـضهم الـبعض عـلام يحـارب العلمـانيون وخاصـة اليـساريون أردوغـان ؟ فـإذا كـان أردوغـان بـرغم تهاونـه ومـسايرته للعلمـانيين مـن جهـة والإنجـاز الـضخم والأمانـة والـشرف مـن جهـة أخـرى لا يرضـى عنـه العلمـانيون وخـصوم الإسـلاميين فمـا هـو النمـوذج الـذي يرضـيهم؟ ويمكنهم التعايش معه ؟

وفي لبنـان يتحـرك الجـيش اللبنـاني ضـد مجموعـة الـشيخ أحمـد الأسـير بينمـا عربـدة حـزب الله بـاحتلال بـيروت أو انفجـارات مـستودعاته كـل فينـة فأمر لا يعني الجيش !

وفي بورمـا يقتـل المـسلمون في حـرب إبـادة عرقيـة ودينيـة ولا يتحـرك العـالم ولا أحـد يـدافع عـن هؤلاء المساكين.

ويتـصدر المـسلمون قـوائم المهجـرين واللاجـئين في العـالم مـن أفغانـستان والـصومال وسـوريا والعـراق والسودان وطبعا فلسطين من قبلهم

وهـذا الظلـم والـبطش تجـاه الإسـلاميين بـل والإسـلام لا يختلـف في البلـدان الأخـرى فخـصوم ومعارضـو الإسـلاميين لا يعارضـون بـشرف ورجولـة مـواطن الخطـأ والزلـل – وهـي موجـودة – ولا يـسعون لتقـديم البـديل، بـل إن الغايـة هـي إنهـاء الوجـود الإسـلامي الـسياسي نفـسه وإعـادة وضـعه في الـسجون ولوكـان ذلـك بالتحـالف مـع الـشيطان أو خـراب الأوطان.

الإسـلاميون ليـسوا كتلـة واحـدة وليـسوا علـى رأي واحـد، فهـم أطيـاف متنوعـة ولهـم جمهـور عـريض ولكـن الجميـع يـشعرون اليـوم أن الـروح الإيجابيـة الـتي سـادت بدايـة الربيـع العربـي مـن التعـاون والانفتـاح مـع بقيـة الأطيـاف تتلاشـي، وأن فكـرة نبـذ العنـف والتطـرف الـتي فـرح الجميـع بهـا تكـاد تغيـب وتتـصاعد أصـوات المنـادين بالحـسم والقـوة بعـد أن خفتـت وتـوارت عـن الأنظـار، وحجـتهم بـأن الحـل الوحيـد للـصراع مـع الدولـة العميقـة والرافـضين

للمشروع الإسلامي هو الحسم وعدم التهاون لأنهم لن يرحموا التيار الإسلامي إذا تمكنوا.

وأصبح التساؤل المطروح بقوة اليوم في أوساط الإسلاميين وجماهيرهم الغفيرة، هل يمكن التعايش مع هؤلاء الخصوم الذين لا يقبلون بأي تسوية أو حل لا يتضمن التنازل عن أي مكتسب للإسلاميين بالانتخابات، وأن على الإسلاميين تسليم خصومهم مقاليد القيادة سواء فازوا أو خسروا في الانتخابات!

وأصبح التساؤل بين الإسلاميين وجماهيرهم: إلى متى يتحالف العلمانيون والطائفيون والخارج ضد رغبة الجماهير باختيار المشروع الإسلامي ؟

وأصبح التساؤل في أوساط الإسلاميين وجماهيرهم: عن جدوى اللعبة السياسية وعن صلاحية السلمية منهج للتغيير الحقيقي في مجتمعاتنا ؟

إن تصاعد وتيرة العنف سيكون هو النتيجة الوحيدة لهذه السياسات والمسلكيات العلمانية والطائفية من الداخل والخارج، لقد شبت الشعوب والجماهير عن الطوق، فإما أن تجد لها متنفساً سلمياً في السياسة تمارس فيه قناعاتها بشكل حقيقي وإلا إذا حوصرت وضيق عليها الخناق فإن تطرف البعض أو الكثير لن يكون مستغرباً.

إن نزع فتيل العنف والتطرف في المنطقة هو اليوم بيد القوى السياسية المختلفة والسلطات الحاكمة والقوى الدولية بإقرار العدل والقبول برغبة الجماهير بالمشروع الإسلامي، مع النقد والمعارضة البناءة والإيجابية.

لكن يبدو أن القوى الدولية والعلمانية والطائفية المحلية ترغب بدوام دوامة العنف لتبرر بها جرائمها وعدوانها واستبدادها وانقلابها على الديمقراطية وقبل هذا كله لضمان بقاء إسرائيل آمنة مطمئنة لا ينكر عليها عدوانها وجرائمها واحتلالها في وسط غابة الإرهاب والتطرف.

انتقالية أم انتقامية؟

وائل قنديل – صحيفة الشروق ٢٠١٣/٧/٥

يبدو أننا فى حاجة لأن ننسف كل ما عرفناه من علوم سياسية حتى نقر بأن ما جرى فى مصر ليس انقلابا حتى لو كان أبيض. الوضع بمنتهى الوضوح أن المؤسسة العسكرية أقدمت على عزل رئيس جمهورية قادم بالانتخاب ، بعد إنذار شديد اللهجة أمهله ٤٨ ساعة لحل الموقف السياسى المعقد.. وبعد ذلك خرج الرئيس الجمهورية طارحا مبادرة أو مجموعة أفكار لم يكن أحد من الذين قرروا أن يصرموها مصبحين للتعامل معها أو الاهتمام بها .. ثم بعد انتهاء المهلة خرج وزير الدفاع بخارطة مستقبل تتطابق تماما مع ما طرحه الرئيس مع فارق وحيد هو إزاحة الرئيس من المشهد.

لقد أعلن الرئيس قبوله بحكومة ائتلافية تضم مختلف ألوان الطيف السياسى وتشكيل لجنة لإنفاذ التعديلات المطلوبة فى الدستور ، وأخرى للمصالحة الوطنية ، وإشراك الشباب فى الحكم ، والذهاب إلى انتخابات برلمانية.

وهذه الخطوات ذاتها تضمنتها خارطة المستقبل التى أعلنها القائد العسكرى ، لكن بدون وجود رئيس الجمهورية ، ومع تعطيل العمل بالدستور ، والمجىء برئيس المحكمة الدستورية حاكما للبلاد ، مع الأخذ فى الاعتبار أن كل ذلك جرى فى مقر وزارة الدفاع بناء على استدعاء القائد العام للقوات المسلحة لقيادات سياسية ودينية.

تلك هى مفردات الصورة التى يمكن للرئيس الأمريكى باراك أوباما أن يضعها أمام طالب مبتدئ فى العلوم السياسية ويطلب منه تعريفا مناسبا لما جرى.

إن ما يحدث منذ إعلان وزير الدفاع لخطة

المستقبل يبدو شيئا مثيرا للدهشة والعجب ، فبعد هتاف صاخب للحشود الغاضبة «الحرية بتتولد» اشتغلت آلة المصادرات وإغلاق القنوات الفضائية والصحف المؤيدة للرئيس الذى تم عزله، وبعيد الإعلان عن مصالحة وطنية بغير إقصاء أو إبعاد دارت ماكينة الاعتقال تحصد قيادات الإخوان والإسلاميين.

وأخشى لو استمرت الحرية تتوالد بهذه الوتيرة فلن يبقى فى مصر مكان لصوت أو قلم ينطق بما يغضب السادة أصحاب المستقبل ، الأمر الذى يحول المرحلة من انتقالية إلى انتقامية بامتياز.

لقد مكث محمد مرسى فى الحكم عاما واحدا، كان يتعرض خلاله للشتائم والسباب والتخوين والإهانة من قنوات وصحف لم تترك مفردة فى قاموس البذاءة إلا واستخدمتها، بل أن بعضا من هذه المنابر اتهمت وزير الدفاع بالخيانة والتفريط فى الفترة التى أعقبت اختيار الدكتور مرسى له ومع ذلك لم تمتد يد لصحيفة أو قناة بالإغلاق أو بالمصادرة ، فضلا عن أن السادة الحقوقيين والمتكلمين باسم حرية التعبير كانوا يوفرون غطاء يحمى كل هذه الانتهاكات المهنية والأخلاقية، لمجرد أنها توافق هواهم فى النيل من رئيس أرادوا إسقاطه.

لقد أصيب المغردون دفاعا عن حرية الإسفاف والبذاءة بالخرس هذه المرة ، فلم نسمع لهم صوتا و لا همسا ضد عمليات الاعتقال والمصادرة التى تدور على نطاق واسع ، والأكثر رداءة أن منهم من يبررها بحجة أنها إجراءات استثنائية مؤقتة ، وهم أول من يعلم أن «الاستثنائى» فى بلادنا يصبح مقيما وأبديا فى مثل هذه «الثورات المدرعة». فعلا «الحرية بتتولد»

لم يعد هلالاً شيعياً

جمال خاشقجي - الحياة ٢٠١٣/٦/١٥

عندما صِيغ مصطلح «الهلال الشيعي» قبل أعوام كان ذلك في معرض التحذير من مشروع التمدد الإيراني عبر المشرق العربي. الآن وبعد هزيمة الدول الإقليمية الكبرى في معركة القصير وشعور الأصولية الشيعية بنشوة الانتصار، المتجلية في تدفق مئات المتطوعين الشيعة من العراق والرعاية الإيرانية المعلنة للحرب، فإن الهلال بصدد التحول إلى محور سياسي طموح يمتد من طهران حتى بيروت مروراً ببغداد ودمشق.

ستخرج خرائط من أدراج وزارة النفط الإيرانية لمد خط أنابيب عبدان - طرطوس للنفط والغاز الإيراني، وخرائط أخرى من أضابير هيئة السكك الحديد الإيرانية لمد سكة حديد طهران - دمشق، بل حتى بيروت. لِمَ لا؟ فالزمان زمانهم. لا أبالغ، فثمة أفكار حقيقية لمشاريع مثل هذه تحدثت عنها طهران منذ أعوام ولكن لم تقدم عليها، ولكنها ستفعل في الغالب بعدما تحسم المعركة لمصلحتها في سورية، فمن الطبيعي أن تعزز انتصارها على الأرض بربط محورها المنتصر بمنظومة سياسية واقتصادية وعسكرية واحدة.

سيحقق مرشد الثورة الولي الفقيه آية الله خامنئي حلمه بالخطبة من على منبر المسجد الأموي، معلناً أنه حقق الوحدة الإسلامية التي طالما وعد بها، سينزل من المنبر في شكل استعراضي ليمسح على رأس طفل دمشقي كسير ليُظهر «تسامح القوي»، ثم يقف بجوار عدد من علماء السنّة السوريين بجباتهم وعمائمهم البيض، فهناك دوماً رصيد من أمثال المفتي أحمد حسون جاهزون للخدمة، يضم أيديهم إلى يديه ويرفعها عالياً بينما تنهال عليهم فلاشات الكاميرات التي تسجل هذه اللحظة التاريخية.

سيعد المرشد أن تكون صلاته القادمة أو صلاة خليفته في القدس (لا بُد أن يتواضع قليلاً)، ولكنه لن يشير إلى الجولان، فهو يعلم أن الروس باتوا يشكلون القوة الرئيسة التي تفصل بين القوات الإسرائيلية والجانب السوري الخالي من أية قوات إلا قوات رمزية، فمواجهة «التكفيريين» الذين ما زالوا يقومون بعمليات يائسة في المدن السورية، حتمت على الجيش السوري وقوات «حزب الله» الانتشار في المدن الكبرى والقرى السنّية في سورية ولبنان لحفظ الأمن فيهما.

في عصر ذلك اليوم، سيقام احتفال كبير في قصر دمشقي رُمم حديثاً ولكن لا تزال آثار الحرب بادية عليه، لتوقيع اتفاق الدفاع المشترك يوقعها رؤساء إيران والعراق وسورية ولبنان، بينما يقف المرشد خلفهم مبتسماً مستشعراً رهبة اللحظة، فلعل الإمام الغائب المنتظر حاضر هناك يبارك الاتفاق.

نعود جنوباً نحو الرياض، هادئة مغبرة، ولكنها قلقة بعدما حُسمت المعركة لمصلحة بشار الأسد وحلفائه، تعلم أنه انتصار إيران ومشروع الخميني القديم وليس انتصاراً لبشار الذي أصبح مجرد ممثل للولي الفقيه في دمشق، يقلقها تزايد النشاط الإيراني من حولها، تخشى على البحرين، الحوثيون باتوا مسيطرين بلا منازع على نصف اليمن الشمالي القديم، والجنوب اليمني الذي كان أهله حلفاء تقليديين للسعودية يتآكل تدريجاً لمصلحة إيران.

اختفت مشاريع الوحدة الخليجية، فحتى بعض دول الخليج بات حريصاً على إرضاء طهران حفظاً لما تبقى من سيادته. تلاشت فكرة السوق العربية المشتركة والهلال الخصيب، وسقط معها حلم إحياء سكة حديد الحجاز التي تمتد من إسطنبول حتى مكة المكرمة عبر سورية والأردن. حتى الأوروبيون باتوا يشترون النفط الإيراني الذي يصل إليهم عبر خط أنابيب عبدان - طرطوس، ويدرسون مع الإيرانيين ربط شبكة الغاز الأوروبي بنظيرتها الإيرانية. نسوا عقوباتهم القديمة، فالعالم يفضل التعامل دوماً مع المنتصرين.

داخلياً، موجات هائلة من الغضب وسط الشباب الذي يشعر بأن حكومات المنطقة فشلت في التصدي للمشروع الإيراني. يموج الشباب بحالة احتقان طائفي شديد. تزيد الطين بلة ضغوط اقتصادية. أفكار التطرف انتشرت وانشغلت الأجهزة الأمنية بتعقب أكثر من تنظيم.

كابوس مخيف... أليس كذلك؟ لذلك أعتقد بأن السعودية تحديداً لن تسمح بانتصار إيران في سورية. لقد كان الوجود الإيراني ثقيلاً هناك منذ أن تحالف حافظ الأسد مع الثورة الإسلامية في إيران بعد انتصارها مباشرة قبل ٤٠ عاماً، ولكن قوة النظام السوري كانت توفر بعضاً من التوازن والاستقلالية، ولكن بعدما بات ابنه بشار يدين للإيرانيين و«حزب الله» بالفضل أنه لا يزال حياً ويحكم ولو بلداً مدمراً، بات مجرد «تابع» لطهران وليس حليفاً على قدم المساواة. ضاع كل توازن، حينها سيكون الوجود الإيراني في سورية ولبنان تهديداً صريحاً للأمن القومي السعودي والتركي أيضاً.

وبالتالي، لا بد للسعودية أن تفعل شيئاً الآن، ولو وحدها، فأمنها هو الذي على المحك. سيكون من الجيد أن تنضم الولايات المتحدة إلى حلف تقوده المملكة لإسقاط بشار وإعادة سورية إلى حضنها العربي، ولكن يجب ألا يكون هذا شرطاً للتحرك. لتكن السعودية القائدة بمن حضر. لنضع جانباً كل قلق من تداعيات الربيع العربي وصعود «الإخوان» وطموح الأتراك، وليكن الهدف «إسقاط بشار» وسريعاً، فهو هدف كفيل بجمع قوى متنوعة من عشائر الأنبار إلى «حماس» إلى «إخوان» مصر وتونس ودول الخليج. حينها ستتشجع تركيا للانضمام إلى هذا الحلف، قد تتبعها فرنسا، حينها ستأتي الولايات المتحدة أو لا تأتي، لا يهم... إنها معركتنا وأمننا وليس أمنهم.

الديمقراطية اسم لا حقيقة له

أ.د جعفر شيخ إدريس

لم تجد الديمقراطية في تاريخها كله رواجاً مثلما وجدت في عصرنا هذا؛ لقد كان معظم المفكرين الغربيين منذ عهد اليونان كثيري النقد لها، بل ورفضها، حتى إن أحد الفلاسفة البريطانيين المعاصرين ليقول: إذا حكمنا على الديمقراطية حكماً ديمقراطياً بعدد من معها وعدد من ضدها من المفكرين لكانت هي الخاسرة.

أما في عصرنا فإن الدعاية الواسعة لها أعمت كثيراً من الناس ـ ولا سيما في بلادنا ـ عن عيوبها التي يعرفها منظروها الغربيون. بل إن المفتونين بها المروجين لها صاروا يصورونها كالبلسم الشافي لكل مشكلات المجتمع السياسية وغير السياسية.لذلك رأيت أن أشارك في تصحيح هذه الصورة الكاذبة ابتداء بهذا المقال الذي أرجو أن يكون فاتحة لكتاب كامل عن مشكلات الديمقراطية والبدائل الإسلامية.

أول ما يؤخذ على الديمقراطية كونها اسماً لا حقيقة له؛ أعني أنه إذا وصف لك نظام سياسي بأنه دكتاتوري أو ديني مثلاً تصورت ما المقصود بهذا الوصف، وكانت صورتك الذهنية هذه مطابقة للواقع الذي يوصف بهذا الوصف. ولكن ليس كذلك الامر بالنسبة للديمقراطية؛ إذ إن الديمقراطية كما يدل عليها اسمها، وكما يعرفها كبار منظريها وساستها هي حكم الشعب. لكن الصورة الواقعية لما يسمى بالديمقراطية ـ مهما كانت حسناتها أو سيئاتها ـ ليست هي حكم الشعب:

أولاً: لأن مفهوم الشعب نفسه مفهوم غامض كما يرى بعض كبار منظري الديمقراطية. استمع إلى الأستاذ (روبرت دال) الذي ربما كان صاحب أشمل بحث أمريكي عن الديمقراطية، وهو الذي وُصف في غلاف كتابه هذا الذي ننقل عنه بأنه «من أبرز منظري زماننا السياسيين» وأنه نال على هذا الكتاب جائزتين كبيرتين:

«إن دعاة الديمقراطية ـ بما في ذلك الفلاسفة السياسيون ـ يتميزون بكونهم يفترضون مقدماً أن هنالك شعباً موجوداً فعلاً. إنهم يعدون وجوده واقعاً صنعه التاريخ. لكن هذه الواقعية أمر مشكوك فيه، كما كان مشكوكاً فيه في الولايات المتحدة عام ١٨٦١م، عندما حسم الأمر بالعنف لا بالرضى ولا بالإجماع. إن الافتراض بأن هنالك شعباً موجوداً، وما يبنى على هذا الافتراض من لوازم تصير جزءاً من النظرية الديمقراطية الخيالية».

ثانياً: لأن الشعب لم يكن في يوم من الأيام ولن يكون حاكماً؛ ذلك أمر متعذر. وإليك بعض شهادات أهلها على ذلك:

إن الديمقراطية المثالية هي ما يسمى بالديمقراطية المباشرة التي يقال إنها كانت تمارس في أثينا، أول دولة ديمقراطية نشأت في القرن الخامس قبل الميلاد. تسمى بالمباشرة؛ لأن «الشعب» كان يجتمع في العام أربعين مرة ليناقش كل القضايا السياسية المهمة مناقشة مباشرة ويصدر فيها قراراته. لكنها مع ذلك لم تكن حكم الشعب:

١- لأن الذين أسسوا النظام الديمقراطي كانوا فئة قليلة من الناس هم الذين قرروا من الذي يستحق أن يدخل في مسمى الشعب الحاكم ومن الذي لا يستحق، فاستثنوا النساء، والرقيق، وكل من كان من أصل غير أثيني مهما طال مكثه فيها؛ وعليه فلم يكن الذين لهم حق المشاركة السياسية إلا نسبة ضئيلة من المواطنين.

٢- كان يكفي لاعتبار الاجتماع منعقداً أن يحضره ستة آلاف مما يقدر بست وثلاثين ألف عضو، أي إن القرارات المتخذة فيه لم تكن

قرارات تلك الفئة كلها التي أعطيت حق الحكم.

٣- كانت مدة الاجتماع لا تتجاوز عشر ساعات؛ فلم يكن بإمكان الناس جميعاً أن يشاركوا في المداولات، وإنما كان الذي يستأثر بالكلام بعض قادتهم، وكانت البقية تابعة لهم.

لما بعثت الديمقراطية مرة ثانية في القرن الثامن عشر في أوروبا كان من المتعذر أن تكون ديمقراطية مثل ديقراطية أثينا بسبب الازدياد الكبير في عدد السكان، وصعوبة اجتماعهم. ولكن بدلاً من أن يقال إن الديمقراطية بمعنى حكم الشعب غير ممكنة الآن، فلنبحث عن نظام حكم آخر يتناسب مع واقعنا. تحايل بعضهم فسمى ديمقراطية أثينا بالديمقراطية المباشرة، واقترح أن تكون الديمقراطية الحديثة ديمقراطية غير مباشرة، أو ديمقراطية تمثيلية، أي ديمقراطية يختار فيها الشعب فئة قليلة منه تكون ممثلة له وحاكمة باسمه. كان هذا التحايل ضرورياً؛ لأنه كانت هنالك أزمة سيادة: من هو الجدير بأن يكون السيد الآمر الناهي الذي لامعقِّب لحكمه؟ كانت هذه السيادة للملوك، وكانوا يعدون هذا الحق حقاً إلهياً أعطاهموه الله تعالى؛ لأن الناس كانوا قبل ذلك مؤمنين يعتقدون أن مثل هذه السيادة لا تكون إلا لله أو لمن أعطاها الله له. لكن الناس لم يعودوا يؤمنون بهذا بعد الثورة الفكرية الكبيرة التي حدثت في قرنهم الثامن عشر، والتي كانت في مجملها دعوة للانسلاخ من حكم الدين في كل مجال من مجالات الحياة. لم يكن هنالك من بديل لحكم الله أو لحق الملوك المقدس في الحكم، إلا أن يقال إن الحكم للشعب كله؛ فهو صاحب الكلمة الأخيرة فيما ينبغي أن يكون أو لا يكون، لكن الديمقراطية التمثيلية أو النيابية كانت بالضرورة أبعد من الديمقراطية المباشرة عن أن تكون حكماً للشعب؛ وذلك:

١- لأن الحكم له معنيان: حكم تشريعي، وحكم تنفيذي. فبأي معنى يَحْكُم الشعب؟ لا يمكن أن يَحْكُم بالمعنى الثاني؛ لأن الشعب لا يمكن أن يكون كله رأس دولة أو مجلس وزراء أو قائد جيش، وكان الفيلسوف الفرنسي روسو أول من سخر من الديمقراطية بمعنى الحكم التنفيذي، فقال:

إذاأخذنا العبارة ــ يعني كلمة الديمقراطية ــ بمعناها الدقيق؛ فإنه لم تكن هنالك قطُّ ديمقراطية حقيقية، ولن تكون. إنه من المخالف للنظام الطبيعي أن تكون الأغلبية حاكمة والأقلية محكومة. إنه لا يتصور أن يكون الشعب مجتمعاً دائماً لقضاء وقته في تصريف الشؤون العامة. ومن الواضح أنه لا يمكن أن يكون لجانا لهذا الغرض إلا بتغيير شكل النظام الإداري.

٢- لم يبق إذن إلا الحكم بمعنى التشريع؛ لكن الشعب ليس هو المشرِّع في الديمقراطية النيابية، وإنما هو الذي ينتخب من يشرع، ومرة أخرى نستمع إلى روسو ساخراً من هذا:

إن الأمة الإنجليزية تعتبر نفسها حرة؛ لكنها مخطئة خطأ فادحاً؛ إنها حرة إبّان فترة انتخابات أعضاء البرلمان؛ وبمجرد أن ينتخبوا؛ فإن العبودية تسيطر عليها، فلا تكون شيئاً. وكيفية استفادتها من لحظات الحرية القصيرة التي تستمتع بها تدل حقاً على أنها تستحق أن تفقدها.

٣- لأن نواب الشعب ليسوا هم الشعب حتى لو كان اختياره لهم بالإجماع. ربما كان هذا معقولاً لو أن النواب يجتمعون للبت في قضية واحدة يعرف كل منهم رأي ممثليه فيها، أما والقضايا كثيرة ومعقدة وبحاجة إلى علم لا يتأتى لعامة الناس؛ فإن الحكم لا يكون حكم الشعب. نعم! إن كل نائب منهم يتجنب المشاركة في تشريع يعلم أن أكثر الناس في دائرته الانتخابية لا توافق عليه، وأنه إن شارك فيه فربما يفقد مقعده في الانتخابات التالية. لكن هذا قليل جداً من كثير.

٤- والمنتخبون لا يكونون في الواقع منتخبين بالإجماع الذي يقتضيه وصف الحكم بأنه حكم الشعب، وإنما ينتخبون بالأغلبية، والأغلبية ليست

هـي الكـل، ومـا ترتـضيه الأغلبيـة في دائـرة معينـة قـد لا ترتــضيه الأغلبيـــة في دائـــرة أخـــرى، أو قـــد لا ترتـضيه أغلبيـة الـشعب لـو كـان انتخابـه مباشـراً، لكنه مع ذلك يعد ممثلاً للشعب وحاكماً باسمه.

٥- ثــم إن الأغلبيـــة لم تكـــن في بدايـــة الديمقراطيـة هــي أغلبيـة الـشعب كلـه؛ فقـد اسـتثنوا منهـا النـساء، واسـتثنوا بعـض الفقـراء، واسـتثنى الأمريكـان الأرقَّـاء، فلـم يـدخل النـساء في مفهـوم الـشعب الحـاكم الـذي يحـق لـه أن يـصوّت إلا في عـام١٩١٨م في بريطانيـا، وعـام ١٩٢٠م في الولايـات المتحـدة، ولم يُعـطَ الـسود هـذا الحـق إلا بتعـديل للدسـتور الأمريكــي في عــام ١٨٨٦م؛ ولكــن حتــى بعـد شمـول مفهـوم الـشعب الحـاكم لكـل المـواطنين باسـتثناء الأطفـال، ظلـت بعـض الفئـات محرومـة مـن حـق المـشاركة في الانتخابـات. اسـتمع إلى مـا يقـول هـذا المؤلـف الأمريكـي في كتـاب لـه حـديث عـن الديمقراطيـة: ملايـين مـن النـاس يبقـون فاقـدين حـق التـصويت كليـاً أوجزئيـاً: مئـات الألـوف مـن المـواطنين الـذين يعيـشون في واشـنطن العاصـمة، مليـون ونـصف مليـون ممـن ارتكبـوا جنحـاً وعوقبـوا علـى ارتكابهـا؛ لكـن ولاياتهم تحـرمهم رغـم ذلـك مـن التـصويت. عـدة ملايـين مـن الـذين يعيـشون في بورتوريكـو وأقـاليم فيدراليـة أخـرى، والملايـين غـير المحـددة في أمريكـا كلـها الـذين تـضيع أوراق تـصويتهم، أوتحـسب خطأ، أو تحطم في كل انتخاب.

٧- وبمـــا أن الانتخابـــات في أمريكـــا إنمـــا يـشارك فيهـا مـن سـجل اسمـه للمـشاركة فيهـا قبـل بـدئها، وبمـا أن كـثيراً مـن النـاس لا يـسجلون أسماءهم؛ فـإن الأغلبيـة إنمـا تكـون أغلبيـة مـن صـوتوا ممـن سـجلوا ممـن يحـق لهـم أن يـصوتوا. وقـد كانـت هـذه النـسبة في انتخابـات عـام ٢٠٠٠م كـالآتي كمـا جاء في تقرير حكومي رسمي:

مـن مجمـوع عـدد النـاس البـالغ ٢٠٣ مليـون والـذين كانـت أعمـارهم ١٨ عامـاً أو أكثـر، ١٨٦مليونـاً مـنهم مواطنـون، سـجل مـنهم للانتخابـات ١٣٠، وصـوّت مـنهم ١١١، وعليـه فقـد كانـت معـدلات تـصويت الـسكان الـذين أعمـارهم ١٨ عامـاً أو أكثـر ٥٥٪ مـن مجمـوع الـسكان، و٦٠٪ مـن المـواطنين، ٨٦٪ من المسجلين.

الديمقراطية الليبرالية:

هنالـك أمـر لا يـتفطن إليـه كـثير مـن النـاس هـو أن الديمقراطيـة في الـبلاد الغربيـة ليـست ديمقراطيـة خالـصة مطلقـة وإنمـا هـي ديمقراطيـة مقيـدة بالليبرالية. مـا معنـى هـذا؟ الليبراليـة نظريـة سياسـية فحواهـا أن المجتمـع يتكـون أساسـاً مـن أفـراد، لا مـن طبقـات ولا مـن أسـر ولا مـن أي تجمعـات أخـرى. وبمـا أن الفـرد هـو أسـاس المجتمـع، وبمـا أن لـه -بوصفه فـرداً- حقوقـاً أهمهـا حريتـه، فإنـه لا يجـوز للحكومـة ولا لفئـة مـن الـشعب، بـل ولا لأغلبيـة الـشعب أن تتغـول علـى حريتـه. ولـذلك فـإنهم يـدعون إلى مـا يـسمونه بالحـد الأدنـى مـن الحكومـة، أي إن الأسـاس هـو أن يـترك الأفـراد أحـراراً يختـارون مـا شـاؤوا؛ فعلـى الدولـة أن لا تتـدخل إلا تـدخلاً اضـطرارياً الغـرض منـه حفـظ حقـوق الأفـراد الـتي قـد يتغـول عليهـا بعـضهم. ويحـذرون لـذلك ممـا يـسمونه بدكتاتوريـة الأغلبيـة. كنـت أنـوي الاسـتدلال علـى ذلـك بكتابـات عـدد مـن الـساسة والمنظـرين الغـربيين ولا سـيما الأمـريكيين مـنهم، لكـن أغنـاني عـن كـل ذلـك كـلام وجدتـه لواحـد مـنهم معـروف اسمـه (ليبمـان) قـال عنـه مقـدمو الكتـاب الـذي نـشروا فيـه مجموعـة مـن مقالاتـه، والـذي ننقـل منـه النـصوص التاليـة: «إنـه ربمـا كـان أعظـم مفكـر سياسـي أمريكـي في القـرن العـشرين» فإليك بعض ما قال مما نحن بصدده:

«يجـب في رأيـي أن نـرفض القـول بـأن مبـادئ الحريـة والعدالـة والحكـم الـصالح إنمـا تتمثـل في حكم الأغلبية.

هنـا يكمـن أصـل المـسألة. لقـد كـان [الـرئيس] واشـنطن يعتقـد أن الـشعب يجـب أن يحكـم، لكنـه لم يكـن يعتقـد أنـه بـسبب حكـم الـشعب تتحقـق الحريـة ويتحقـق العـدل والحكـم الـصالح، كـان

يعتقد أن الشعب ذا السيادة لا يؤتمن ـ كما لم يؤتمن الملك ذو السيادة الذي كان هو خلفاً له، على السلطة المطلقة.

إنه لم يخدع نفسه.... إنه لم يكن يؤمن بما صار الآن الأديولوجية الديمقراطية السائدة: أن كل ما رأت جماهير الناس أنها تريده فيجب أن يقبل على أنه الحقيقة.

لقد كان يعلم أنه لا ضمان من أن يتحول حكم الشعب إلى حكم قهري، تعسفي، فاسد، ظالم وغير حكيم. إن الشعب أيضاً يجب أن يكبح جماحه. إنه كغيره يجب أن يحاسب. إنهم كغيرهم يجب أن يعلموا. إنهم كغيرهم يجب أن يرفعوا فوق مستوى سلوكهم المعتاد».

سيقول الديمقراطي الملتزم بمبدئه: لكنكم بهذا تضعون سلطة فوق سلطة الشعب؛ والمبدأ الديمقراطي هو أن السلطة للشعب، فلا أنت إذن يا ليبمان ولا واشنطن من قبلك بديمقراطيين. سيرد ليبمان بأنكم تحاجوننا بالديمقراطية الخالصة التي تؤمن بسيادة الشعب إيماناً مطلقاً، لكن الديمقراطية التي أتحدث عنها وأدعو إليها هي الديمقراطية الليبرالية التي تحد من هذه السلطة.

سيذهب بعض الليبراليين الذين جاؤوا من بعد واشنطن بعقود إلى أبعد مما ذهب إليه فيؤكدون أن الليبرالية عندهم هي الأساس، وأنه إذا حدث تعارض بينها وبين الديمقراطية فينبغي التضحية بهذه لا بتلك. فهذا هو المفكر الليبرالي هايك يقول بعد أن دافع عن الديمقراطية دفاعاً قوياً، وبعد أن بين ضرورة الليبرالية لها في كتاب له نال شهرة واسعة قبل خمسين عاماً:

لا أريد أن أجعل من الديمقراطية وثناً يُعبد؛ فربما يكون حقاً أن جيلنا يتحدث ويفكر أكثر مما يجب عن الديمقراطية، وأقل مما يجب عن القيم التي تخدمها....إن الديمقراطية في جوهرها وسيلة. إنها أداة عملية لضمان الأمن الداخلي والحرية الشخصية، فليست هي بهذه المثابة معصومة ولا مضمونة. كما يجب أن لا ننسى أنه كثيراً ما تحقق قدر من الحرية الثقافية والروحية في ظل حكم مطلق أكثر مما تحقق في بعض الديمقراطيات».

موقفنا من النظم التي تسمى بالديمقراطية:

النظم السياسية التي تسمى بالديمقراطية ليست هي إذن ديمقراطية بمعنى أن الحكم فيها للشعب، وإنما هي نظم سياسية مختلفة وإن كان بينها خصائص مهمة مشتركة. فمن الخطأ إذن تعريف الديمقراطية بأنها نظام الولايات المتحدة أو المملكة المتحدة أو فرنسا أو غيرها من الدول الغربية. وعليه فإذا كان من حق هذه الدول أن تجتهد وتختار لنفسها ما تراه مناسباً لها من تفاصيل المؤسسات والقيم السياسية، مع أنها جميعاً تتسمى بالديمقراطية، أفلا يكون من حقنا أيضاً أن نختار من المبادئ والقيم السياسية ما نراه مناسباً لهويتنا وواقعنا ووسيلة أحسن لتحقيق أهدافنا، سواء كان فيه ما يشابه النظم الديمقراطية أو يخالفها؟ بلى! بل إن هذا لهو المسلك الطبيعي لكل أمة تقضي بعقلها وتحترم نفسها وتعتز بهويتها وأصالتها.

وعليه فإذا أرادت دولة من دولنا أن تختار لنفسها نظاماً تراه معبراً عن هويتها ومناسباً لعصرها، فيجب أن تبدأ بتقرير المبادئ والقيم التي تريد للدولة أن تلتزم بها، ثم تبحث بعد ذلك عن المؤسسات المناسبة لعصرها وظروفها التي يمكن أن تحمل تلك القيم وتعبر عنها. يمكنها مثلاً أن تقول إنها تريد لدولتها أن تتميز بخصائص منها اختيار الأمة لحاكمها، وسيادة حكم القانون، وحرية الرأي، وأن يكون كل هذا في نطاق ما تؤمن به من منهج في الحياة لا يلزم أن يكون مماثلاً لمناهج الحياة الغربية. فإذا كانت أمة مسلمة جعلت كل ذلك في نطاق هدي الكتاب والسنة، وأضافت إليه أموراً مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمحافظة على الدين والدفاع عنه، وهكذا إنه لا يلزم من موافقة الديمقراطية الليبرالية الغربية في بعض الجزئيات أن يأخذ الموافق سائر ما فيها، أو أن يتبنى فلسفتها، أو يتسمى

باسمها. ثم إن ما في الديمقراطية من حسنات ليس خاصاً بها ولا مرتبطاً بها، بل يمكن أن تخلو هي منه كما يمكن أن يوجد في غيرها، بل قد وجد الكثير منه حتى في حياة جاهليتنا العربية! لكن المجال الآن ليس مجال التوسع في هذا الأمر.

زيف التوافق القومي الإسلامي

د. مصطفى اللداوي – موقع الإسلاميون ٢٠١٣/٦/٢٧

لسنين طويلة مضت ظننت أن التيارين القومي العربي والإسلامي قد توافقا، وأنهما قد قفزا على مشاكلهما الداخلية، وقد طويا صفحاتٍ سوداء من تاريخهما الذي اتصف بالتصادم وعدم اللقاء، وشابه خلال سنواتٍ طويلة في النصف الثاني من القرن العشرين، مواجهاتٌ وصداماتٌ مسلحة، أودت بحياة الكثير، وأضرت بمصالح البلاد ومرافقها العامة، وأثرت على سمعة الدول العربية ومكانتها الدولية، وتسببت في قطع جسور التوافق والتلاقي بين التيارين، بعد أن بالغ التيار القومي الذي كان يحكم في أكثر من بلدٍ عربي في رد فعله على أتباع التيار الإسلامي، فاعتقل الآلاف منهم، وحاكم وأعدم المئات من خيرتهم، كما ساهم في تشريد وهروب أو هجرة عشرات الآلاف من المنتسبين للحركات الإسلامية.

ظننت أنهما قد تجاوزا الماضي، وقد تخلصا من ربقة الأنظمة السابقة، وأعلنا البراءة من كل ما سبب القطيعة بينهما، أو كان له دور في إثارة الخلافات والتناقضات بينهما، أو دفعهما للتنازع والاقتتال، وأنها رحما الأجيال التالية من الاحتكام إلى تاريخ أسلافهم، وتحمل مسؤولية أخطاء السابقين، بعد أن أدركا أنهما يمثلان جناحي الأمة التي بهما تنهض وتحلق، وبدونهما أو بأحدهما تصبح ضعيفةً مهيضة الجناح، عاجزة عن التحليق أو المواجهة، وأضعف من أن تصمد وتبقى.

ولكن هذا التزاوج بينهما كان يلزمه تسامحٌ ومصالحةٌ، وإقرارٌ من الطرفين بحاجةِ كلِ طرفٍ إلى الآخر، وأن أحدهما لا يستطيع شطبَ الآخرِ ولا تجاوزه، وأنه لم يعد من الممكن أن يحكم فريقٌ الآخر، أو أن يجبره على الخضوع والنزول عند أحكامه ومفاهيمه، كما لم يعد من السهل أن يتفردَ تيارٌ بحكم البلاد، وتسيير شؤون المواطنين، مهما كان قوياً وكبيراً، دون أن تنشأ بين التيارين تحالفاتٌ وتفاهماتٌ، تقوم على أرضية المشاركة في الوطن، وتقاسمِ الأعباء والمسؤوليات والواجبات.

وكان يسعدني كثيراً أن أرى أقطابَ التيارين القومي والإسلامي يتلاقيان ويتحاوران، ويتبادلان الإبتسامات والتحيات، ويعقدان الخلوات والمؤتمرات، ويشتركان في الندوات والمحاضرات، ويحسن كلٌ منهما الإصغاء إلى الآخر، وتقدير آرائه واحترام أشخاصه، مع حرصٍ واضحٍ على تجاوز الماضي، والتعامل وفق مفردات الحاضر، والاعتراف بأهمية كل فريق، وبوجوب أن يكون له دور ومساهمة، فلا هيمنة ولا سيطرة، ولا شطب ولا إلغاء، ولا تهميش ولا إقصاء، ولا حرمان ولا اجتثاث، وإنما تقاسمٌ ومشاركةٌ، وتلاقي وتحاورٌ وتفاهم، وهو ما بدا جلياً في المؤتمرات القومية الإسلامية، وفي مؤتمرات الأحزاب العربية، وفي مؤتمرات القدس والملتقيات العديدة التي عقدت من أجل القدس والأسرى وحق العودة وغيرها.

ولكن ما بال العهد بين التيارين قد نُقض، والحلف الذي بينهما قد انهار، والتفاهم الذي كان قد انتهى، وكأن التيارين كانا يخدعان بعضهما البعض، وينافق كلٌ منهما الآخر، ويبديان خلاف ما يظهران، ويتحدثان نقيض ما يؤمنان أو يعلنان، وكأنهما كانا يدعيان التوافق وهما أبعد ما يكون عن اللقاء، فقد تواجه الفريقان، وتبارز التياران، ووقف كلٌ منهما في مواجهة الآخر، يتحديان بعضهما البعض، وقد صمم كلُ فريقٍ على النيل من الآخر أو اسقاطه، وأبديا في معاركهما المشبوهة الاستعداد لتدمير البلاد، وإزهاق أرواح المواطنين، وإهدار مقدرات الأمة، وتحطيم آمال الشعوب، بل والتحالف مع الغرباء، والاتفاق مع الأعداء، من أجل أن يستقوي فريقٌ على الآخر، ليسقطه أو يوهنه.

التياران يعلمان أنهما يخاطران بمصالح الأمة،

ويعرضان أمن بلادنا العربية للخطر، ويدركان أن العدو فرحٌ بما يجري في بلادنا، وسعيدٌ بما يصيب قلوبنا ونفوسنا، وبما يلحق ببلادنا وبمؤسساتنا، فهو يتربص بنا، ولعله يذكي نار الخصومة بيننا، ويشعل فتيلها إن خبا أوراها، أو انطفأ لهيبها، فلا مصلحة لعدونا في أن نتفق، ولا أمل له بيننا أو بلادنا إن توافقنا وتلاقينا، ولهذا فإنه يستخدم بعضنا ليتسلل خلالنا، ويستغل خلافاتنا لينفذ بيننا، ويخدعنا ليكون له دورٌ ووجودٌ وتأثيرٌ ونفوذ.

كنا نظن أن ثورات الربيع العربي، وانحسار بعض الأنظمة الشمولية والديكتاتورية، التي حكمت الشعوب بالحديد والنار، وأغلظت في تعاملها مع أتباع التيار الإسلامي بأشد مما عاملت به أقطاب التيار القومي، الذي نَعِمَ في ظل أغلب هذه الأنظمة بالكثير من الحرية، فلم تُغلق مؤسساته، ولم تُسحب الشرعية من أحزابه، ولم تُصادر أمواله، ولم تُلاحق رموزه وأقطابه، ولم يُسجن أتباعه ومناصروه، بل كانوا جزءاً من السلطة، وركناً من أركان الحكم، كنا نظن أنهما سيتعاونان معاً، وسيتفقان على إدارة شؤون البلاد، وتسيير الحكم فيها، وكنا نظن أنهما سيتبعان الشرعية، وسيخضعان للديمقراطية، وسيحترمان نتائج الإنتخابات، وما تفرزه صناديق الاقتراع، وأنهما سيذللان لبعضهما الصعاب، وسيزيلان من طريق بلادهما العقبات، وسيواجهان معاً الأزمات والتحديات.

لكن المفاجأة كانت انقلاب القوميين على الإسلاميين، وإعلان الثورة ضدهم، وتأليب الشارع عليهم، فقد رفض القوميون نتائج الانتخابات التشريعية والرئاسية، وشككوا في شرعية الانتخابات ونزاهتها، وطعنوا في دستورية الأحكام والمراسيم والقوانين، وحملوا القيادات الجديدة كل التركة القديمة، بكل ما فيها من فسادٍ وخرابٍ وتدهور، وما عليها من ديونٍ والتزاماتٍ وتعهدات، رغم علمهم أنها تركة الأنظمة السابقة، وأنهم لا يتحملون المسؤولية عنها، وإن كانوا يبدون تصميماً على مواجهتها والتصدي لها.

لكن التيار القومي آثر التحالف مع الفلول، والإتفاق مع بقايا الأنظمة التي السابقة، من الفاسدين والمتورطين والمشاركين في جرائم كبيرة، وهدد الأنظمة الجديدة التي فازت ديمقراطياً في انتخاباتٍ حرة ونزيهة، بالتنحي وترك الحكم، أو بالخروج إلى الشوارع، والاعتصام في الميادين والساحات، وتعطيل الحياة العامة، وتجميد مرافق الدولة، حتى تخضع الحكومات لبلطجتهم وتتنحى، رغم أنه لم يمض على هذه الأنظمة مدة زمنية كافية، تمكنهم من الإصلاح والإنطلاق، ومن فتح كل الملفات والتعامل معها.

ألا يحق لنا أن نشكك في حقيقة تلاقي التيارين القومي والإسلامي، فقد كان لقاؤهما محض كذب، وحوارهما تسلية وتمضية وقت، واجتماعهما سرابٌ أو لالتقاط الصور وإحياء المناسبات، وأن الماضي الذي كان بينهما لم يغب، بل كان وما زال حاضراً وماثلاً بينهما كالجبال، يفصل بينهما، ويحول دون اتفاقهما بصدق، وأنهما كانا يخدعان شعوبنا، ويضحكان على أجيالنا، ويبطنان خلاف ما يظهران، وأنهما يخافان من بعضهما، ويرفضان احترام إرادة شعوبهما، وأن التيار القومي مازال يتطلع بعيونِ الماضي، ويحلم بسطوته القديمة، وسلطاته الكطلقة، وأنه استعظم أن يفوز المظلومون، وأن ينتصر المعذبون، وأن يحكم البلاد الذين كانوا بالأمس في سجونها، ونزلاء زنازينها.

سكان أحياء بصنعاء يرفعون الكرت الأحمر في وجه الحوثيين ويمهلونها أسبوعا لرفع خيامها

يمن برس – العربية نت ٢٠١٣/٧/٧

أمهل سكان عدد من أحياء العاصمة اليمنية صنعاء جماعة الحوثي المدعومة من إيران مدة أسبوع لرفع خيامهم من ساحة التغيير وحي الجامعة والأحياء المجاورة للساحة.

وفي هذا السياق، قال رئيس اتحاد مالكي المساكن والمحلات التجارية بساحة التغيير وحي الجامعة والأحياء المحيطة بساحة التغيير سعد الحازي، «نطالب جماعة الحوثي برفع خيامهم من أحيائنا، لأنها تزيد أضرارنا ومن معاناتنا وتنذر بكارثة إنسانية لأنهم يقطعون الطرقات ويقلقون أهالي هذه الأحياء».

وأضاف في تصريح صحافي، «نقول للحوثيين الذين يرفضون إخلاء خيامهم من ساحة التغيير والأحياء المجاورة أنتم دمرتم صعدة فلماذا تريدون تدمير أحيائنا»،

ولفت إلى أن أهالي وملاك المساكن والمحلات التجارية قد قرروا منح جماعة الحوثي مهلة أسبوع لرفع خيامهم من الساحة وما جاورها.

ونوه إلى أن الأهالي وأصحاب المحلات التجارية والمهنية والحرفية المتضررة بحي الجامعة والأحياء المحيطة بساحة التغيير يعتزمون تنظيم فعاليات احتجاجية مختلفة للمطالبة بإزالة ما تبقى من خيام نصبها المحتجون منذ اندلاع الثورة الشبابية السلمية مطلع ٢٠١١م، وأيضا للمطالبة بتعويض المتضررين.

وكان أصحاب المحلات التجارية في حي الجامعة والأحياء المجاورة لساحة التغيير قد تعرضوا لخسائر قال الحازي إنها قُدِّرت بـ ٤ مليارات ريال يمني (٢٠ مليون دولار أمريكي)، جراء نصب خيام الاعتصامات في الساحة ومداخل الأحياء المجاورة منذ فبراير شباط ٢٠١١.

ونوه بأن حكومة الوفاق الوطني أصدرت توجيهات متكررة بشأن تعويض المتضررين من أصحاب المحلات التجارية في حي الجامعة والأحياء القريبة من ساحة التغيير، غير أن وزارة المالية لا زالت تعرقل تلك التوجيهات، على حد قوله. وأوضح رئيس اتحاد ملاك المحلات التجارية بساحة التغيير والأحياء المجاورة أن ٢٢٠٠ محلا تجاريا تضررت، وأن ٢٥٠ محلا تجاريا أفلست تماما.

وكانت أغلب المكونات الشبابية الحزبية والمستقلة قد غادرت ساحة التغيير وأزالت خيامها باستثناء جماعة الحوثي التي ترفض مغادرة شبابها أو إزالة خيامهم وذلك للضغط على حكومة الوفاق الوطني والرئيس عبد ربه منصور هادي للحصول على مصالح وامتيازات خاصة، كما يقول سياسيون وخبراء.

وهددت جماعة الحوثي بعرقلة مؤتمر الحوار الوطني، وإعاقة مسار العملية السياسية إذا تمت إزالة خيام شبابها المرابطين في ساحة التغيير بالعاصمة اليمنية صنعاء.

وبحسب المصادر، فإن جماعة الحوثي التي تتهمها الحكومة اليمنية بتلقي الدعم المادي والسياسي والعسكري من إيران كانت قد اشترطت لإخلاء الساحة تعويض شبابها المعتصمين بمبلغ ملياري ريال يمني (١٠ ملايين دولار أمريكي)، ومعالجة جرحى الحوثيين الذين أصيبوا خلال الحروب الست مع الجيش اليمني بين عامي ٢٠٠٤ و٢٠٠٩، وتوظيف ٣ آلاف حوثي في مؤسسات الدولة المدنية والأمنية والعسكرية، وهي شروط رفضتها اللجنة العسكرية جملة وتفصيلاً.

هذا ما فعله "حزب الله" في معركة صيدا

فادي شامية – المستقبل اللبنانية ٢٠١٣/٦/٢٦

ظُهر الأحد أوقف حاجز الجيش اللبناني المتاخم لمسجد بلال بن رباح فادي البيروتي؛ أحد مرافقي الشيخ أحمد الأسير. بعد تلاسن أطلق الجيش النار في الهواء. دقائق معدودة وانهمر الرصاص من كل مكان. استُشهد عسكريون وجُرح آخرون، وبدأت المعركة.

وسط هذا المشهد، وقبل أن يصبح المكان ساحة حرب، شاهد قاطنون في الحي النار تنطلق من الشقق المقابلة للمسجد، التي يتواجد فيها عناصر «حزب الله». وفيما بعد دخلت هذه الشقق- المراكز في المعركة. هاجمها مسلحو الأسير؛ وقتلوا وجرحوا فيها مجموعة، تبين في ما بعد أسماء بعضهم، وفق نعي الحزب لهم «أثناء قيامهم بواجبهم الجهادي» (القيادي ساجد البيروتي- جبشيت، وإبراهيم حسن عساف- كفرحتى، ومحمد صالح- حارة صيدا)!.

وخلال أقل من ساعة واحدة؛ نفّذ «حزب الله» و«سرايا المقاومة» انتشاراً في صيدا، وتمركزوا في التلال المشرفة على عبرا، كما في منطقة شرحبيل المقابلة، ومنطقة تعمير عين الحلوة، وبعض أحياء صيدا. كانوا يلبسون ثياباً عسكرية مرقطة ويضعون شارة صفراء. خاضوا قتالاً ضد مجموعات الأسير من جهة

الشرق بالقرب من مدرسة مكسيموس. بعضهم كان ملتحياً، وبعضهم يحمل أدوات لخلع أبواب الشقق وتفتيشها. وذلك؛ في الوقت الذي كان الجيش اللبناني يقاتل المجموعات المسلحة للأسير، وقد سقط للحزب قتلى وجرحى في القتال؛ نُقلوا إلى مستشفى الراعي في صيدا، وفي ما بعد سيطروا على طريق مجدليون- جزين.

شمل انتشار الحزب أيضاً احتلال دارة المهندس يوسف النقيب (تيار المستقبل)، وتلة مقابلة لدارة النائب بهية الحريري. كما شمل احتلال مبنى الرحمة في منطقة الهلالية (مبنى خيري تديره إحدى الجمعيات القريبة من «الجماعة الإسلامية») بعد قصفه من حارة صيدا من قبل مسلحي «حزب الله» وحركة «أمل». وبعد مراجعة قيادة «الجماعة الإسلامية» للمرجعية السياسية للمسلحين؛ وافق هؤلاء على التواجد في حرم المركز دون بقية الطبقات.

ثمة أماكن كثيرة تصرف فيها الحزب بحرية وكأنه هو الجيش الوطني نفسه، حتى لجهة اللباس العسكري، حتى كاد الناس يظنون أنهم من الجيش فعلاً لولا أنهم كانوا ينادون رفاقهم بكنى غير متعارف عليها في الجيش، وتعريفهم عن أنفسهم أنهم «حزب الله». كثيرة هي المباني التي دخلوا إليها بهذا الوصف؛ واحدة منها في مجدليون تعود لآل الصلح (فيلا)، احتلوها واستعملوا سطحها للقنص على مسلحي الأسير، أو على أي متنقل في عبرا من دون أن تُعرف هويته (سقط أبرياء مدنيون جراء هذا القنص). الشيخ صاحب المبنى، وعائلته ومن يستضيفهم، اضطروا إلى مغادرة المبنى إلى اليوم التالي. حصلت أمور مشابهة في قرية السلام- ما بين عبرا وحارة صيدا. دخل مسلحو الحزب على غير بيت وفتشوه.

أما داخل مربع القتال وجواره؛ فقد كان حضور الحزب طاغياً، وخوضه القتال مفضوحاً. في مبنى صالح حيث كان للحزب شقة عسكرية، تمدد عناصر الحزب واحتلوا شقق المبنى كله. هددوا السكان بضرورة فتح أبواب بيوتهم، لاستعمالها عند الحاجة تحت طائلة خلعها. بعضهم الآخر اتصل بوسائل إعلامية موالية بادعائه أنه مدني يطلب النجدة من سطوة «شبيحة الأسير». من هذا المبنى خاض الحزب معركة نارية كبيرة؛ قَتل وجرح من مسلحي الأسير غير واحد بالتزامن مع قتال الجيش. في مبنى أبو ظهر المجاور الأمر نفسه تكرر. في مبنى مجاور (خلف KFC) نفذت مجموعة من الحزب بقيادة شخص معروف في المنطقة، أعمال قنص على المربع الأمني للأسير.

تمدّد الحزب إلى الشوارع الأخرى، وصل إلى حديقة عبرا. هناك تمركز الحزب وحوصرت عوائل قرب صيدلية «طالب»، بينهم نساء حوامل وأطفال. منع قناصو الحزب أي وسيلة إسعاف من الوصول إلى المنطقة، وأطلقوا فعلياً النار على سيارة إسعاف تابعة لـ«الجمعية الطبية» (الجماعة الإسلامية) ما أدى إلى انضمام المسعف إلى جملة المحاصرين إلى اليوم التالي. المباني والشقق التي احتلها الحزب ظل فيها إلى وقت متأخر من يوم الثلاثاء. فتش كل ما فيها؛ ثم سلمها للجيش. أما الشقق التابعة له فبقيت معه؛ وكذا بقي انتشار مسلحيه إلى ما بعد انتهاء المعارك؛ وعندما رحّب الجيش اللبناني بزيارة وفد من مشايخ صيدا مسجد بلال بن رباح للاطلاع على وضعه؛ شاهد وفد المشايخ مسلحي الحزب بأم العين.

حملة «التطهير» لم تقتصر على عبرا؛ ففي منطقة التعمير ثمة انتقام من أنصار الأسير؛ حرقاً وتكسيراً، واستقواءً. أما في جادة نبيه بري، فوقعت ممارسات استفزازية من قبل عناصر حركة «أمل»؛ استباحةُ وإحراق فيلا فضل شاكر لم تكن أعظمها... وقد استمرت إلى المساء حيث جابت سيارات المنطقة احتفاءً بـ«النصر»!.

غير بعيد عن هذه الوقائع كلها؛ يبدو أن سؤالاً يرتسم على شفاه الغالبية العظمى من الصيداويين؛ ماذا بعد القضاء على الأسير؛ هل يتابع الجيش اللبناني مهمته الوطنية للقضاء على كل سلاح في المدينة؟ وهل يقبل الذين يُغرقونه بالمحبة والتأييد اليوم (باعتباره أزال خصماً لهم بمشاركة منهم) أن يتابع هذه المهمة فيزيل البؤر المسلحة من صيدا ولبنان عموماً؟!